دانتـــي

اسم الكتاب: دانتي
اسم الكاتب: منار أحمد العجيلي
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الفنيّ: جمال عبد الرحيم
الطبعة / الأولى – 2020 م
رقم الإيداع: 2020 / 21976
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 22 – 8

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

دانتـــــي

روايـة

منـار أحمـد العجيلي

للنشر والتوزيع
Arabic Library

إلى أطيب مَنْ مَرَّ في عالمي.. أمي

إلى مَنْ أمسك يدي لأشعر بالأمان.. أبي

إلى كل مَنْ رفض مسلك القطيع

عليكم جميعًا السلام

لم تكن المدينة لتبدو أزهى من ذلك في مثل تلك الليلة، ليلة الاحتفال.

فاليوم هو الخامس والعشرون من أَيَّار، ويحتفل ملك داساني بمناسبة قومية، وأيضًا برجوع ابنه من رحلته الدراسية الاستكشافية التي قام بها مع مجموعة من علماء مدينته الصغيرة من حيث المساحة ولكنها كبيرة كِبر الزمان والتاريخ.

ورود.

روائح الياسمين.

الأنوار تنير الطريق بطوله حتى تصل إلى القصر العتيق، قصر سلطان داساني كلها، ووالد أفضل ابنين عرفتهما المدينة منذ سنين، السلطان روحان، والد الأمير دامار والأميرة سيلين.

الأميرة الجميلة.

أميرة القصر العتيق!

****

كان الطريق مُقْفِرًا بشدة، والشمس تبدو كأنها لم تشرق منذ أيام.

سماء مُلَبَّدَةٌ بالغيوم، وهواء مُحَمَّلٌ بأتربةٍ كثيفة.

كان الجو يبدو مثل ذلك عندما كانت سيلين تستقل إحدى عربات النقل، وتتجه نحو مكان مجهول ووجهة غير محددة، وفى ذهنها هدف واحد فقط... الهروب.

كانت تبدو مطمئنة قليلًا، فهى قد ابتعدت مسافة كافية عن قصرها، بل عن داساني كلها، ولكنها لم تقدر على أن تمحو تلك الغصة المؤلمة من قلبها. تحرق قلبها بالفعل، قلقها بل حزنها وأسفها الأبدي، مرارة الأيام القادمة، فهي تعرف ذلك، تعرف كم ستكون الأيام القادمة صعبة. حقًّا إنها تفكر الآن فقط في الهروب، ولكن بعد قليل وعندما تجد المأوى، سوف يتاح لها الوقت للتفكير وَلِتَأَمُّلِ المشهد، تَأَمُّلِ دمار داسانى الشديد.

ها هي العربة تقترب من وجهتها، قد تكون فقط دقائق، أو على الأكثر ساعة للوصول، ولكن فجأة توقفت العربة، كلٌّ ينزل منها. نزلت سيلين وسط أُنَاسٍ كثيرين، لم تستطع أن تتعرف على أَيٍّ من الوجوه، لم يكن أحدٌ مألوفًا كفاية بالنسبة لها.

****

وبينما تُعْزَفُ الموسيقى وتدور الرقصات ويتكلم المجتمعون في حلقات دائرية عديدة، التقت العينان، اندمجت الروحان، وأخذا يَبُثَّان ألوان اللّوم والعتاب.

كانت سيلين بالفعل تحمل كثيرًا من الحديث، ولكن منعها قلبها أن تبوح به؛ فهي تحس الآن كم هو تخلَّى عنها في أوقاتها العصيبة.

أحست به يقترب منها رويدًا رويدًا.

تسارعت نبضات قلبها.

استجمعت شجاعتها ونظرت إلى عينيه أخيرًا.

استطاع هو أن يقرأ في عينيها ما أرادت قوله.

الكثير من الغضب، الحنين، الحزن، الاشتياق.

الكثير من الأحاسيس التي أجبرتها هي هذه المرة على أن تمشي بعيدًا، وبداخلها يهتف:

لا أريد الرحيل!

****

تبدو المدينة مدمّرة أكثر مما توقعت. نعم، فلم يعد هناك مَبَانٍ ولا قصور جميلة ولا حدائق ولا طيور.

لم يعد هناك شيء سوى الدمار الشامل.

مشى الفوج يتحسس طريقه وسط صخور الأطلال.

فكّرت سيلين في الماضي عندما كانت البلدان حولها تتحول إلى ركامٍ في أسابيع.. شهور.. سنين. ولكن، في الأخير، كانت تتحول إلى ركام.

وها هي داسانى وقد تحولت إلى ذلك الرُّكام الذي تعرفت هي إليه أخيرًا.

****

داسانى، كم أحبك يا مدينتي الصغيرة!

حدثت سيلين نفسها وهي تمشي ذلك الطريق المحفوف بالورود من جميع جوانبه، ويزيده جمالًا قليل من الرياح، رياح لطيفة أخذت تهزّ شعرها يمينًا وشمالًا.

مشت ونبّهها عقلها، فبالقرب من هنا سوف تجد صديقًا قديمًا كانت تعطف عليه كثيرًا، قد يبدو رثّ الملابس فقير الشكل، ولكنها لم تنظر إليه هكذا قط، بل كانت تسميه دائمًا رسالة الرب.

عندما كانت دائمًا تبرر لنفسها حبه، وتجد لقلبها الأعذار للتعلق بحبيبها أكثر بداعي أنه طيب القلب، وكان يأتي هذا الصديق القديم يذكرها أن هناك مَنْ هو أكثر كَرَمًا وأكثر حنانًا. هو الله.

****

نزلت من العربة. سارت وسارت، حتى سمعت الضجيج. نعم، إنه ذلك الصراخ الآتي من مدينة الموتى، المدينة تحت الأرضية.

تملكها الرعب والفزع.

أحست بخوف لم تحسه في حياتها.

إنه انتقام المستضعفين.

إنه انتقام فقراء المدينة.

لم تحس وسط خوفها إلا بِيَدٍ قد أمسكت ذراعها وأخذت تقتادها إلى الداخل.

إلى مكان يشبه أكثر فيما يشبه المجزر.

ها هم فقراء المدينة يقتادون الشاة البشرية إلى مصيرها، إلى قضائها الأخير.

أخذ الرجل ذو الوجه المخيف الذي يمتلئ شرًّا وحقدًا، يربط ساعديها ثم قدميها، وبعد قليل، سوف تقترب السكين من رقبتها النحيلة الجميلة؛ لنحرها!

****

ها هي معذوفتي المميزة.

أغلقت عينيها، وأخذت تستمع باستمتاع ليس بعده شيء.

انشرح صدرها، وكأنه يطلب مزيدًا من الهواء.

رياح تأتي لتطفئ تلك النيران المشتعلة.

نيران حب امتلك قلبها ولفظه عقلها.

بينما استسلمت له نفسها وروحها.

ولكنها استيقظت فجأة من حلمها الجميل على صوت ارتطام عنيف.

جَرَتْ، نظرت، وجدت رجالًا يمتطون أحصنةً، وقد اندفعوا إلى داخل القصر يدمرون كل ما يجدونه في طريقهم.

لقد دخلوا ثم أغلقوا باب القصر.

"ها وقد صرنا رهائن للقتلة"، حدثتها نفسها.

أخذوا يكسرون التحف الفنية التي تقدر بالملايين.

لقد مزَّقوا اللوحة التي عشقتها لسنين، اللوحة التي كانت تذكرها دائمًا به.

دانتي، حبيب الروح.

****

ازداد الصراخ الآن، أَصَمَّ أذنيها.

إنه صراخها هي، صراخ الفزع.

لم تكن تصدق قط أن هكذا ستكون نهايتها، إنها كانت تعرف دائمًا كيف ستكون موتتها. لا، لم تُلَقِّنْهَا إياها عَرَّافَةٌ أو مُشَعْوِذ ما، إنها -ببساطة- مثل موتة أمها.

ألا تُصْبِحُ البنت دائمًا مثل أمها؟!

وها هو القدر، اختار أن يغير المصير المكتوب.

وبينما هي تصرخ وتستغيث، ولا تجد على لسانها إلا نداءً واحدًا، دامار دامار.

أخوها، شقيقها الوحيد، رفيق حياتها.

كانت مُوْقِنَةً أنه سوف يأتي وينقذها.

مستحيل أن يتركها تموت هكذا.

وعندما تأخرت إغاثة دامار، وسمعت وقع الأقدام الذي يقترب منها، إنه يدنو أكثر فأكثر، لقد صار الآن فوق رأسها تمامًا.

هي لا تستطيع أن تراه، ولكن تحس بوقع أنفاسه.

أطلقت استغاثتها الأخيرة، صرخت باسمه.

دانتي!

****

أسرعت سيلين واختبأت خلف أحد الأبواب الكبيرة.

لم تكن تظهر للقتلة؛ نظرًا لصغر حجمها، ولضخامة الباب. رأتهم يجرون، يقتلون كل مَنْ في طريقهم، رأتهم يستبيحون حرمة قصر جدها المَهيب.

"آه يا جدي".

"أين أنت الآن؟!"

"لقد وعدت أن تقوم بحمياتنا أبد الآبدين".

"أين أنت الآن يا جدي؟!"

قالت لنفسها وقد ذرفت عيناها كثيرًا من الدموع. أرادت الصراخ من هول ما تراه، ولكن كانت تدرك جيّدًا أن بصراخها سوف تكتب نهايتها.

أخذت نفسًا عميقًا، وَهَدَّأَتْ من روعها.

قررت أنها سوف تنقذ نفسها بنفسها، سوف تجري نحو الباب، ثم تهرب للخارج.

حقًّا، هي لا تعرف ما ينتظرها بالخارج خيرًا كان أم شرًّا. ولكنها سوف تفعل ما يتوجب عليها في اللحظة الحالية.

انتظرت وانتظرت.

تذكرت كم كان يحذرها أبوها من تسرعها وتهورها، قررت أنها سوف تتحين اللحظة وتجري بكل ما أوتيت من عزم!

****

اقتربت اليد، وأخذت تلمس ساعديها برفق.

توقفت هي عن الصراخ، فقط أخذت تبكي فى صمت، تمنت من قلبها أن يتوقف قبل أن ترى عيناها ما سوف يحل بجسدها.

هل حقًّا؟ هل..؟

توقفت أفكارها لبرهة؛ فاليد قامت بحل وثاقها بدلًا من تقطيع كفيها، فرحت، ولكن أسرع عقلها ونبّهها أنها قد تكون ليس إلا مراسم ما قبل الذبح.

رجع الخوف، وَدَبَّ فى عروقها.

ثم بدأ شخص ذو حركة بطيئة يتجه إلى الأمام، وحلّ وثاق قدميها. هي لا تستطيع أن ترى وجهه حتى الآن. أشار لها أن تقوم بسرعة. تبعته للخارج. أيقنت أنه منقذها.

سارت وراءه، ولكنَّ قلبها عرف أنه ليس روحان.

ليس دامار.

ليس دانتي.

****

إنها اللحظة الحاسمة. سوف أنطلق الآن.

وبينما تَهمُّ سيلين بالجري، وجدت رجلين يتجهان نحوها.

لقد رَأَيَاهَا، حتمًا رَأَيَاهَا. ها هما يقتربان أكثر فأكثر.

حاولت هي أن تنكمش قدر الإمكان، ثم حشرت جسدها في ركنٍ بين الباب والحائط.

ولكن، هل تخدع نفسها؟ فهي ظاهرة.

أي شخصٍ، بل أي كائنٍ كان سَيَمُرُّ من جانبها، فسوف يراها. ولكنّ ثانية فعلت ما يتوجب عليها فعله.

اقترب الرجلان، وجسدها يرتعد خوفًا. مَرَّا دون أن يَرَيَاهَا.

مَرَّا دون أن يقبضا عليها وتصبح عارَ عائلة إيجالي كلها.

علها قد تكون رحمة ربها أو مساعدة أسلافها لها.

****

إنه الشحاذ العجوز.

الذى كانت تراه دائمًا في طريق الورد.

من كان يذكرها بأن الله هو الكريم، هو الحنون.

إنه الذي أنقذها.

اقتادها الرجل إلى خارج المجزر.

وقد رأت في طريقها الأهوال.

سمعت الصرخات.

يا له من رعبٍ لن تنساه إذا قُدِّرَ لها الحياة!

وصلا إلى الباب.

كانت ستشكره، ولكنه لم يمهلها أن تحرك شفتيها، بل قال لها:

-"اذهبي".

"اذهبي بسرعة".

ربتت على كتفه، وكأنها بذلك تأخذ لمسةً من رحيق ماضٍ كم تشتاق إليه الآن.

ماضٍ جميل لم يكن ينقصه شيء.

على الرغم من الغصة، الشوكة التي كانت دائمًا في قلبها.

فإنه كان هناك دائمًا مَنْ كان يعوضها حزن الطفولة.

حزن الماضي البعيد.

عندما ماتت أمها وتركتها، هي لم تتركها وحيدةً، ولكن سيلين لم تستطع قط أن تنسى كم كانت تحتاجها!

ولكن ذلك جعلها بنت أبيها المدللة، وحبيبة قلب شقيقها الوحيد.

ثم أتت لها الحياة بهدية قُدِّرَتْ لها منذ زمن.

كنز جيش داسانى العظيم، كنز جيش روحان ملك العصور، كنز عائلة إيجالي.

كنز كان اسمه دانتي إيجالي.

****

الآن، هذا هو التوقيت الملائم.

انطلقت سيلين بعزم ما فيها.

جرت باتجاه الباب.

لم يرها الرجال الذين كانوا يمتطون الأحصنة.

وصلت أخيرًا إلى الباب بعدما مرت بحجرة تلو الأخرى.

حتى وصلت إلى الممر الذي يحتوي في آخره على باب حديدي ذي أقفال ضخمة، وشبّاكين صغيرين على كلا الجانبين.

وصلت إلى الباب، ولكنها صارت تتنفس بشدة.

أحست أن قلبها سوف يتوقف.

لا تعرف أمن الخوف أم من شدة الجري. ولكن لا يهم الآن.

ما يهم هو كيف ستقوم بفتح الباب.

حاولت فتحه، ولكن وجدت أن المهاجمين قد أوصدوه بالأقفال.

صُدِمَتْ، ولكن لم تيأس، فَعَلَى الجانبين يوجد شباكان.

يوجد طريقان آخران للنجاة.

أسرعت سيلين نحو الشبَّاكين تحاول فتحهما.

ولكنهما موصدان أيضًا.

يا لحسرتها!

يا لِحَظِّهَا المشئوم!

فلقد خسرت للتو فرصتها الأخيرة في النجاة.

فهي الآن لم تهرب، ولم تختبئ أيضًا.

فها هم القتلة المهاجمون يسرعون بأحصنتهم نحوها.

جوادان.

رجلان.

سوف يدهسانني حتمًا.

****

وَدَّعَتْ سيلين الشحاذ العجوز بنظرات الشكر.

استمرت بالعَدْوِ مرة أخرى.

ولكن هذه المرة، قررت أنها ستكون لأبعد ما تستطيع.

لأبعد مكان على وجه تلك القارة.

جرت وسط الدمار نفسه.

وهي ترى حولها الناس يقتلون بعضهم بعضًا.

لقد صار المكان مرعبًا أكثر فأكثر.

فهي الآن أصبحت تَعْدُوْ وسط جثث.

وسط بشر مقتولين. وبأبشع الطرق.

نظرت وراءها فوجدت مجموعة من القتلة قادمين وحاملين أسلحتهم، ويقتلون بضعة رجال في طريقهم.

نظرت حولها وبدت الأرض خالية من كل شيء تقريبًا.

كل شيءٍ إلا الجثث المتراكمة في كل مكان.

أدركت أن الوقت قد مر كثيرًا على الاختباء.

لم يكن ثمة مكان للاختباء الآن سوى مكان واحد فقط.

نعم، وسط الجثث.

ارتمت سيلين على الأرض.

أغلقت عينيها.

أرخت جسدها بالكامل.

وأصبحت جثة هامدة.

****

سادت حالة من الارتباك والجنون.

أمسكت سيلين بالشباك بعنف تحاول أن تفتحه، وهو يأبى بشدة.

في حين أن الجَوَّادَيْنِ لا يَتَوَرَّعَانِ عن الاقتراب منها.

أحست برعب شديد.

أحست أن الدم قد اندفع إلى رأسها.

سوف ينفجر حتماً الآن.

سوف تنفجر وجنتاها من الاحمرار.

وصل الجوادان الآن إلى الرَّدهة الرئيسة.

أصبحا في مواجهتها مباشرةً.

وبينما يفصلهما عنها بضعة أمتار، سقط أحدهما من ظهر جواده.

توقف الآخر؛ ليرى ما حل بزميله.

وهنا، ظهر حفيد إيجالي.

الفتى الشجاع.. العظيم.

الذي تكثر حوله الأقاويل.

إنه أيضًا قاتل.

خائن.

عميل.

ظهر دانتي وقد ضرب بسيفه فارسًا من الفرسان فسقط من ظهر جواده صريعًا. ودخل في قتال مع آخر وهو يصرخ.

-"اهربي يا سيلين.. اهربي".

وقفت سيلين مشدوهة.

لم تعرف ماذا تفعل!

أرادت حقًّا مساعدة دانتي، ولكنها تعرف أنها إذا فكرت أن تتدخل في ذلك القتال، فإنها حتمًا سوف تفسد الأمور.

لم يتوقف دانتي عن الصراخ مطالبًا إياها بالرحيل، فاستيقظت أخيرًا قائلة:

-"لا.. لن أتركك.. وماذا عنك؟!"

"لن أتركك وحدك يا دانتي".

****

تحركت مجموعة المهاجمين، وانتشر المهاجمون في المكان يبحثون عن أحياءٍ؛ حتى ينقلوهم بسيوفهم وأسلحتهم إلى الحياة الأخرى.

وبينما تُمثل سيلين دور الجثة في ذلك الفيلم المرعب، فتحت عينيها قليلًا، وجدت المجموعة قد ابتعدت إلا من امرأة واحدة كانت تقترب منها حتى وقفت عند رأسها تمامًا.

أغلقت سيلين عينيها بسرعة كحركةٍ لا إرادية.

من الخوف.

فهي لم تُرِدْ فعل ذلك، ولم تفعل ذلك، وهذه المرأة لا تكون إلا صديقتها الحميمة راما.

راما الجميلة.

التي لا تؤذي أحدًا أبدًا.

راما التي تعشق الله.

فتحت سيلين عينيها، وكانت راما لا تزال واقفةً عند رأسها.

تصورت سيلين أن راما سوف تنتحب الآن لمقتلها، وسوف تنعيها بأجمل ما يكون.

ولكن ما حدث أن راما وقفت لفترة صامتة.

ثم نطقت..

تكلمت..

سبت ولعنت..

بدأت بأن ارتفع صوتها..

قالت:

-"هذا ما تستحقينه أيتها الملعونة الكافرة".

"ظللتم تمثلون علينا".

"صِرْتُمْ مثل الشياطين. حمدًا للرب أنكِ مِتِّ".

"وحمدًا أكثر للرب أن أخاكِ هو الآخر قد مات".

"ها قد تخلصنا من تلك الأسطورة الزائفة".

"أنتم لستم مصلحين".

"ما أنتم إلا مفسدون في الأرض!".

أحست سيلين بغضب شديد..

أحست بدمعة حارة قد نزلت من عينها لتحرق وجنتها اليسرى.

قامت سيلين من الأرض.

وفي يدها أقرب ما استطاعت أن تتحصل عليه.

زجاجة الدواء الممتلئة.

أمسكتها وقبضت عليها بشدة، وانقضت بها على وجه راما تضربها بدون رحمة.

أخذت تضربها.

بشدة..

حتى سقطت راما على الأرض قتيلة أو في غيبوبة.

لا تفكر سيلين الآن إلا في كلمة واحدة.

أخي..

****

-"اهربي يا سيلين".

-"وماذا عنك يا دانتي؟"

-"فقط اهربي".

استمر القتال لبضع دقائق أخرى حتى غرس دانتي سلاحه في رقبة من كان فارسًا. كان دانتي دائمًا بالنسبة لسيلين فارسها.

بطلها.

حبيبها الأبدي.

وها هو يأتي لإنقاذها مرة أخرى.

غير تلك المرة منذ بضعة سنوات عندما أحبته.

لم يمهلها دانتي قط الوقت للتفكير في أي شيء.

فمثل كل مرة، أسرع نحوها.

كسر الباب بسيفه.

ها هو انفتح على مصراعيه، وأصبح أمامها خياران.

القصرُ الذي كان مهيبًا وأصبح جحيمًا، والمجهول ينتظرها في الخارج.

دانتي في الداخل، وَحُبٌّ ينتظرها لا تعلم عنه شيئًا في الخارج.

أمسك دانتي ذراعها.

وقال لها بحدة:

-"هيا.. ليس هناك وقت.. بسرعة".

لم تُرِدْ سيلين الذهاب..

جَادَلَتْهُ قائلة:

-"وماذا عنك؟"

رد دانتي بحسم:

-"ليس هناك وقت لذلك.. هيا".

ترددت سيلين..

-"ماذا تنتظرين أنتِ؟!"

أخذ دانتي ينظر وراءه منتظرًا قدوم الفرسان القتلة لإعدامه.

أرادها فقط أن تذهب.

نطقت عبارةً جعلته يتوقف لبرهة، ويدرك أنه بها أنها ستكون النهاية، إذن فهو يجب أن يتحدث الآن..

لقد سألته فقط:

-"هل تخليت عني حقًّا؟"

ترك دانتي الجحيم الذي وراءه ونظر فقط إلى عينيها.

ظل قلبه يخفق حبًّا، وعقله ينبض مُحَذِّرًا من أن القتلة قادمون.

-"أبدًا.. لقد فعلت ذلك لأحميكِ.. لأجلك أنتِ".

اغرورقت عيناها بالدموع وقالت له:

-"وَلِمَ لَمْ تقل لي ذلك؟.. لِمَ تركتني أتعذب طوال ذلك الوقت؟"

رد دانتي:

-"لأنني ظننت أنه ربما من الأفضل لكِ أن تكوني بعيدة عني".

صمتت سيلين لبرهة، ثم أدركت أن الوقت قد لا يسعفها أن تقول كل ما أرادت.

توقفت عن حديث اللوم والعتاب.

حديث الحقيقة:

-"أنا لا أريد الذهاب.. لن أتركك وحدك".

أمسك دانتي بيدها.

-"اذهبي، أنا سوف ألحق بكِ".

"سوف أنقذ السلطان ودامار".

"لا أستطيع أن أترك داساني تتدمر وتضيع".

"اهربي".

"سوف أنقذ مدينتنا، ثم ألحق بكِ".

"فقط تَذَكّرِي أن كل ما فعلته كان لأحميكِ".

ثم أمسك يديها، ووضع كفيها بين كفيه، وأغلق عليهما.

-"مثل أيام حبنا يا دانتي".

-"مثل أيام حبنا يا عمري".

واستطرد دانتي: "لا تنسيني أبدًا يا سيلين.. أنا لطالما أحببتك".

أدرك الاثنان -بعد تلك العبارة بالذات- أنها النهاية.

أدركَا أنه لن يكون هناك مزيدًا من دانتي وسيلين.

لن يكون هناك مزيدٌ من الحب البريء الذي كاد أن يبهر عقول العالمين.

لولا القدر.

أرادت سيلين البكاء بشدة، ولكنها توقفت.

لقد اقترب دانتي.

للمرة الأولى.

إنها تحس به الآن أكثر دُنُوًّا من أي وقت.

تستطيع الآن أن تحس أنفاسه وهي تلمس وجنتيها.

لقد اقترب أكثر وأكثر حتى كاد أن يقبلها.

ولكنه توقف فجأة.

****

أَدْمَتْ سيلين وجه راما ضربًا بزجاجة الدواء.

فتكسّر وجه راما، ولم تنكسر الزجاجة.

هل قد أثبت زجاج داسانى أنه أكثر وفاءً من سكان داسانى أنفسهم؟

يا لعجب الزمان!

تركت سيلين راما ملقاة على الأرض وسط دمائها.

ميتة أم لا! لا يفرق، فهي لم تعد صديقتها بعد الآن.

أخذت سيلين تَعْدُوْ وهي تجهش بالبكاء.

هبت رياح قوية أصبحت تطيح بكل شيء حولها.

وكأن الهواء حزينٌ لبكاء أميرته الهاربة.

أخذت تبكي وتجري.

حتى نظرت أمامها، فوجدت أن الطريق لا نهاية له.

القتلة قادمون من كل اتجاه.

لا يوجد ملاذ.

لم يعد هناك حل.

فالصحراء تبدو واسعة مكشوفة، وهم قادمون من كل مكان.

أخذت تَعْدُوْ، حتى وجدت عربة في الأفق البعيد.

جرت نحوها وبحذر، حتى وجدت أن هناك مَنْ بداخلها ويشير لها بأن تأتي نحوه.

جرت إليه حتى بدأت تسمع صوته.

-"اقتربي.. بسرعة... بسرعة".

إنه رجل ظنت أنها لم تعرفه قبلاً.

طويل القامة وذو بشرة بيضاء.

أسرع وَمَدَّ إليها يده.

وبمجرد أن قفزت داخل العربة، حتى انطلق هو بسرعة رهيبة.

****

نطق دانتي آخر كلمات في لقائهما الذي قد يكون الأخير.

-"اذهبي.. الآن".

جرت هي إلى الخارج.

جرت على غير هدى، بينما انشغل دانتي بمعاركهِ وسط ردهة القصر.

أخذ يقاتل كل الفرسان.

ثم انضم له دامار.

أما روحان، فما زال حتى الآن مجهول المكان.

امتلأت ردهات القصر بالمعارك الضارية.

سيوف، وجثث، وقرع طبول، وهتافات، وسقوط، وسقوط.

****

انطلقت العربة في الصحراء الواسعة، ولم يعد يلحق بها أحد. ظل الراكبان صامتَيْن، وكأن كل منهما يمهل عقله الوقت لإدراك ما الذي كان يحدث.

-"هل تعرفينني؟!"

نظرت سيلين إليه بسرعة، لأن صوته قد أيقظها من استغراقها في التفكير.

سألته سيلين بسرعة:

-"هل تعرف ماذا حل بمدينتنا؟"

هز الرجل رأسه نافيًا:

-"كل ما أعرفه أن دمارًا شديدًا قد لحق بها.. لم ينج أحد".

فوجئت سيلين، وترددت، ثم قالت متلجلجة:

-"لا أحد على الإطلاق! هل تعني أن كل الناس ماتوا؟!!"

أجاب الرجل:

-"نعم، عندما تَرَكْتُ المدينة، كانت مجموعات خرمان قد أتت لقتل السكان وقد..".

سكت الرجل قليلًا..

أخذت سيلين تتفحص عينيه، ولم تجد فيهما سوى حزن شديد.

"لقد قَتَلُوا".

ولكن فجأة اهتز الكون بأكمله لانفجار رهيب، انفجار جعل عربتهم تندفع بعيدًا، تكاد تنقلب.

نزل الاثنان بسرعة من العربة.

فلقد سُدَّ الطريق أمامهما بأكوام الحجارة.

صرخت سيلين قائلة:

-"ما هذا؟ هل وقع المبنى؟"

رد عليها الرجل:

-"لقد انفجر. لقد فجَّره أحدهم من الداخل".

ثم سمعا أصواتَ رجالٍ قادمين.

صرخ فيها الرجل:

-"بسرعة.. هيا نختبئ".

"بسرعة، من هذا الاتجاه"

وأخذا ينزلان معًا في منحدرٍ ضيق، حتى وجدا بابًا حديديًّا. دخلا بسرعة فيه، فإذا به مستودع وبه مجموعة من الأسلحة.

أسرع الرجل، وأخذ سِكِّينَيْنِ خبأهما معه، ثم أخذ سيفًا وأعطاه لسيلين.

سيلين تفاجأت.

-"ما هذا؟!! لي أنا؟!!"

رد الرجل بسرعة:

-"بما أنك لا تجهلين استخدامه، إذن فسوف ينقذك حتمًا".

استغربت سيلين.

-"وكيف عرفت أنني أستطيع استخدام السلاح؟"

رد الرجل:

"ألم تتعرفي عَلَيَّ بعد يا سيلين؟"

نظرت إليه سيلين بتمعن، ثم قالت: "إبينور".

****

استمرت سيلين في التنقل من خلف المباني.

واحد تلو الآخر، وهي تسمع أصوات السيوف التي تليها صرخات.

استطاعت حقًّا أن تشم رائحة الموت تنتقل في أرجاء المدينة.

لقد قررت ميليشيات خرمان أن تأتي على الأخضر واليابس.

قررت أنها ستقضي على عائلة إيجالي كلها.

ثم ستأتي على كل سكان المدينة ممن لا يرضخون لحكمها.

سوف تصبح داساني تحت حكم خرمان.

تلك المجموعة التي أطلقتها عليهم غياهب الزمان من مكان مجهول.

إنه قدرهم المحتوم.

إنه حكم الله.

أخذت سيلين تجري فى المدينة وهي تسمع الهتافات والصراخ والنداءات عبر مكبرات الصوت؛ مناداةً واستغاثةً بالناس.

لقد كان الرجل يصرخ، ويستغيث بسكان داسانى.

"انزلوا.. انزلوا إلى الشارع.. لا ينام أحد اليوم.. انزلوا".

****

-"إبينور.. صديق أخي دامار منذ سنين".

"أين كنت طوال ذلك الوقت؟!"

أجاب إبينور وهو مبتسم لأنها تذكرته:

-"لست أنا مَنْ يجب أن يجيب عن هذا السؤال".

"أخوكِ هو الذى غادرنا. كان يراسلنا من وقت لآخر، ولكننا كنا نشتاق إليه كثيرًا".

نظرت إليه سيلين، وأحسّت بصدقه.

لقد كان أعز صديق لدامار.

كان دامار دائمًا يتحدث عن طيبة قلب إبينور.

أصبحت سيلين تتذكر عندما رأته للمرة الأولى.

لقد قالت لدامار وقتها:

-"إنه لا يدعى إبينور. إنه ملاك".

-"هل تتذكر راما يا إبينور؟ لقد قتلوا دامار؟"

"هل تصدق ذلك؟"

استغرب إبينور، وقطب حاجبيه.

-"لا أعتقد أن راما قد تفعل ذلك".

انفعلت سيلين بشدة وقالت.

-"لا، لقد اعترفت أمامي. لقد قتلوا أخي ولا أعرف ماذا حل بباقي عائلتي؟"

ظل إبينور محملقًا، وناظرًا إليها.

كان يريد أن يقول لها الحقيقة.

****

نظرت حولها، ولم تجد ثانية سوى الحرائق. القتلى والمنازل المهدمة.

صارت تنتقل من حارة لأخرى، وهي تلمس الأرض بشوق.

فهي تعرف أنها قد تبتعد عنها لفترة طويلة من الزمان.

وقفت لبرهة تراقب مرور مجموعة من ميليشيات خرمان.

أمهلها ذلك الوقت لتودع آخر ذرات تراب سوف تلمسها قدماها.

لقد كانت سيلين –وما زالت– تعشق كل ذرة تراب وهواء خلقها الله في داساني.

لقد كانت دائمًا روحها. كانت عشقها وحياتها.

تذكرت كيف كانت طفلة مدللة تجلس على قدم والدها وهو يحدثها عن أمجاد جدها إيجالي، وماذا فعل لداساني وماذا أوصى خلفه بها.

كان يلقنها فنون سياسة داساني.

كان يحذرها من المخربين الخونة.

كان يوصيها خيرًا بدامار.

ألا تتركه وحده أمام المُآمرات.

ثم ابتسمت سيلين. فلقد تذكرت للتو أنه على الرِّجْلِ الأخرى وأمامها مباشرة، كان يجلس طفل آخر.

كان يدعو أباها بِعَمِّي روحان، وهي ابنة عمه وصديقة طفولته سيلين الرقيقة.

****

-"اذهبي يا سيلين إلى أبعد ما تستطيعين".

"لا تنظري وراءك مرة أخرى".

"فقط، انجي بحياتك".

ذُهِلَتْ سيلين.

-"هل أنت يا إيبنور الذي تقول هذا الحديث؟!!"

"هل تريدني أن أهرب؟"

"أن أترك داساني وعائلتي؟"

انفعل إيبنور:

-"لم يعد هناك شيء تنتظرين من أجله".

"لقد ماتوا جميعًا".

"لم يعد هناك ما يُسَمَّى داساني".

اقترب إيبنور من سيلين، وأمسكها بيديه الاثنتين.

-"انجي بعمرك يا صديقتي. صدِّقي ما أقول".

دفعته سيلين بعيدًا، وصرخت فيه:

-"ماذا تقول؟ لقد تركتهم كلهم يقاتلون".

فُزِعَ إيبنور، وأشار لها بالسكوت.

ثم سمعا وقع أقدام قريبة. فتجهز إبينور بسلاحه.

اقتربت مجموعة المسلحين الملثمين من باب المستودع.

دفعوه بأرجلهم، وانطلقوا للداخل. بينما اختبأ إبينور وسيلين خلف أكوام القش. ظَل المسلحون يراقبون حتى رأى أحدهما أسوِرة على الأرض.

إنها أسوِرة الملك، وقد سقطت من يد سيلين عندما كانت تدفع إبينور بعيدًا عنها منفعلة.

-"سيدي! إنها أسوِرة، وتبدو مثل...".

ويسكت غير مصدق.

يأتي كبيرهم، وينظر إلى الأسورة.

-"إنها أسوِرة ملك داساني".

"يا له من كنز عظيم"!

رد عليه أحد الحراس:

-"كم يبلغ ثمنها يا سيدي؟"

فرد كبيرهم بسخرية:

-"إنني لا أتحدث عن الأسوِرة أيها الغبي".

"أنا أتحدث عمن أتى بالأسوِرة إلى هنا".

"لقد قتلنا العائلة بأكملها. لقد ظننا ذلك، ولكن على ما يبدو أن أحدهم ما زال حيًّا". "فتشوا بسرعة".

****

تسارعت المشاهد، وتوالت في ذهن سيلين.

لدقائق مرت حياتها أمامها مثل صور متتالية وراء بعضها.

رأت الطفلين يلعبان معًا، ويلهوان في حدائق داساني.

ثم مشاهد حزن يخيم على العائلة، ودامار يحتضنها بشدة، ويعدها ألا يتركها.

رأت نفسها وحيدة.

فقط هي وقصرها.

رأت الطفل الصغير على القدم الأخرى وقد أصبح شابًّا.

رأته يحمل السلاح ويغادر داساني المرة بعد الأخرى.

رأته وقد أصبح يدعو أباها بالسلطان، ويدعو دامار بولي العهد، ولم يستطع بعد الآن أن يدعوها بابنة عمي سيلين.

فقط سيلين.

حبيبة قلبي سيلين.

****

انتشر الحرس في المكان.

قلبوا المكان.

جعلوه رأسًا على عقب.

كاد قلب سيلين يتوقف رعبًا، ولكنها أمسكت سيفها وقررت أنها يجب أن تحيا.

فعندما أمسك كبيرهم الأسوِرة وتحدث عن الملك، أحيا في قلبها حبها لوطنها وأنساها خوفها.

فقد ذكّرها بكلام دانتي عن كيف أن الخوف هو دائمًا العقبة.

كيف كان يعلمها أن تجابه المخاطر وتقتحم المجهول.

ها هي دروس دانتي تبدو وكأنها تجدي نفعًا.

لمح الحارس طرف ملابس سيلين تبدو من خلف برميل ضخم.

وبالنسبة لسيلين، فهي قد سمعت وقع الأقدام تقترب منها.

ثم توقفت، وبدأ التهامس، فأدركت على الفور أن أحدهم قد كشف إما هي وإما إبينور.

باغت إبينور الحراس بضربات سيفه.

فاستغلت سيلين الفرصة، وابتعدت عن المكان.

ولكن الحراس هجموا بشدة عليهما.

تحرك إبينور بسرعة، وجرى نحو سيلين، وتبعهم الحراس.

اختبأ الاثنان خلف جدار لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار.

-"هل أنتِ مستعدة للدفاع؟"

"فقط كوني قوية".

هزت سيلين رأسها موافقة.

ثم تحرك الاثنان، وأصبحت الضربات الآن من كل مكان وفي كل مكان.

أصبح المشهد جنونيًّا.

وبعد دقائق من القتال العشوائي والدامي، نَظَرَا، فوجدا أنهما قد قتلا كل الحراس، ومجموعة أخرى قادمة.

أمسك إبينور بيد سيلين وقال:

-"هذة المرة يجب أن نهرب".

وطفقا يجريان.

****

لقد مرت مجموعات خرمان كلها.

أصبح الطريق هادئًا وخاليًا.

أخذت سيلين نفَسًا عميقًا هدَّأت به من روعها.

ثم مشت ببطء.

تنتقل من هنا لهناك.

ثم رأت مجموعة من السكان يتسللون، فتبعتهم من بعيد.

اقترب السكان الهاربون أم الفارون من جحيم خرمان من العربة.

بدءوا يستقلونها بهدوء؛ لِكَيْلَا يثيروا الأصوات.

جرت سيلين هذه المرة غير آبهة بما قد يحدثه ذلك.

هذه هي فرصتها الوحيدة للنجاة.

اندفعت نحوهم وبسرعة. ولكن العربة بدأت بالفعل التحرك.

لمحها أحدهم وهو يجلس بالخلف، فأشار لها بأن تستمر في الجري، فهم لن يتوقفوا لحظة.

ليس حتى لأميرة داساني نفسها.

****

كانت قد كسرت سيوف إبينور، بينما فقدت سيلين سيفها.

خرج الاثنان من الباب الخلفي للمستودع.

-"اجري يا سيلين. أسرعي قليلًا".

-"لم أعد أحتمل. لقد تعبت حقًّا".

وقد اقتربت من ترك الهروب والجلوس على الأرض والاستسلام.

صرخ فيها إبينور.

-"هيا! هيا!".

وأصبحا يجريان الآن في سراديب طويلة.

جدرانها كلها مطلية باللون الأبيض، وبها ثقوب سوداء.

لكنها كانت منيرة.

وهذا الأهم؛ فسيلين لا ترهب شيئًا في هذا الكون مثل الظلمة.

الظلمة، والنار.

ظلت سيلين تجري وراء إبينور.

حتى عثرا على حفرة في باطن الجدار، فدخلا فيها وأعادا وضع الأعشاب مرة أخرى، وكأن أحدًا لم يمسها.

-"لقد فقدت الأسوِرة يا إبينور".

همست سيلين.

فرد عليها إبينور بدون تردد:

-"هل أنتِ جادة؟"

استغربت سيلين، وردت على الفور، وسألته ماذا يعني؟

-"هل تتذكرين عندما أخبرتك هذا الصباح أن تهربي وألا تنظري خلفك ثانية؟"

"ذلك كان لسبب معين، ألا وهو أنه لم يعد يوجد ما تنظرين خلفك لِتَرِيْه".

ظلت سيلين تنظر لعينيه تحاول قراءة ما يحاول أن يقوله.

تنهّد إبينور، وكأنه سوف يطلق حملًا ثقيلًا:

-"لقد تدمرت داساني".

"لم تعد المدينة مثلما تعرفينها عندما تركتها".

"أصبحت عبارة عن مبانٍ مهدمة ونيران مشتعلة وأناس مذعورين وعلاوة على كل ذلك أن.."

"عائلتك ماتت".

سألته سيلين بسرعة:

-"متى تركت داساني؟"

فرد إبينور:

-"قرابة الحادية عشرة مساءً".

"سيلين".

"أنا..".

ثم أصبح قلبها يخفق بسرعة ويؤلمها تلك المرة، ففزع إبينور.

"ماذا بك يا سيلين؟"

سيلين أحست أن الدنيا تدور بها.

ثم قالت بصعوبة وهي تحتمل الألم.

-"أنت تركت المدينة بعدي بحوالي خمس ساعات، وهذا يعني أنك تعرف كثيرًا".

ثم أنزلت بضع دمعات.

-"فقط قل لي الحقيقة".

تردد إبينور وقال:

-"أنا قررت أن أقول لكِ؛ لأدفعك للهروب والنجاة، ولكنك الآن أقلقتِني عليكِ كثيرًا".

ردت سيلين بدون تردد:-"فقط قل..".

وانتصبت فجأة أمامه، وقد اختفت دموعها، وانتفخ صدرها، واستعادت هيبة الملوك والأميرات، ثم قالت بكل ثبات:

-"تستطيع أن تتكلم الآن يا إبينور".

****

أصبحت سيلين مثل غريق يحاول السباحة حتى طوق نجاته.

هكذا جرت هي نحو عربة النجاة، ولم تكن تدرك وقتها أنها سوف تكمل ليلتها كلها جريًا.

اقتربت هي من الباب. وقف أحدهم ومد لها ذراعه وهي لم تتردد في الإمساك به حتى جذبها عاليًا.

واستقلت سيلين عربة النجاة.

كلٌّ صامت.

لم يكن أحدٌ ينظر إليها.

لا تعرف السبب، أهو اتهام لعائلتها بالتسبب في ذلك أم أنها لم تعد أميرة بعد الآن؟

جلست بجانب الشباك.

وأخذت تراقب الطريق.

أخذت تفكر في دانتي ولقائهما الأخير.

فكرت في أبيها.

فكرت كم تحبه وتشتاق إليه الآن.

تشتاق إليه من خوفها عليه.

فهي تعرف أنه الآن المستهدف.

نعم، ليس الأول، ولكنه مستهدف.

أيضًا دامار.

مستهدف هو الآخر.

ولكن الغريب في كل الأمر أن المستهدف الأول لم يكن السلطان أو ولي العهد. أليس حقًّا غريبًا؟

فالمستهدف رقم واحد لم يكن إلا قائد جيش داساني العظيم.

****

-"دانتي هو المتسبب في كل ذلك".

"دانتي هو الذي قاد بلادنا نحو الجحيم".

ردت سيلين ناكرة كلامه:

-"ماذا تقول يا إبينور؟!"

رد إبينور بكل ثقة:

-"عندما تركت المدينة، كانت هناك أخبار مؤكدة عن مقتل السلطان روحان، وأيضًا ولي عهد داساني الأمير دامار".

أحست سيلين بثقل في رأسها، بصداع رهيب يكاد يشق جبهتها إلى نصفين.

-"لقد اتهم جميع الناس دانتي بالخيانة".

"هو من قلَب على البلاد مجموعات خرمان بقراراته الجنونية".

"دانتي متهم بقتل شعبه يا سيلين".

ردت سيلين بكل حزم:

-"ليس هناك وقت لجدالك يا إبينور. فقط قل لي ما لديك".

"ماذا حل بدانتي؟!"

- "لا أعرف أهي شائعات أم حقيقة؟".

"آخر ما سمعت أن دانتي..".

"قُتِلَ هو أيضًا".

"موتة شنيعة.. حقًّا شنيعة".

صُدِمَتْ سيلين، وظلت صامتة لتوالي الصدمات عليها، ثم استجمعت قواها، فروح الانتقام بدأت تنمو داخلها.

-"كيف قُتِلَ دانتي؟!"

-"هل أنتِ حقًّا تريدين أن تسمعي ذلك؟!"

-"نعم يا إبينور".

"هل تعلم لماذا؟ لأنني سوف أفعل المثل بمن قتلوه. بمن قتلوا أبي وأخي وشعبي".

حلت فترة من الصمت، ثم نظرت سيلين إلى إيبينور، فقال:

-"لقد قبضوا عليه. سمعت أنهم عذبوه لفترة طويلة وقطعوا يديه وقدميه".

اهتز قلب سيلين، وأغلقت عينيها، ثم قالت:

-"أكمِل أكمِل..".

****

كان المشهد يبدو ضبابيًّا من العربة.

تأملته سيلين لفترة.

أحست أن ملاذها الوحيد هو في ذكرياتها.

فعلى ما يبدو أن الماضي هو كل ما تبقى لها.

لم تُرِدْ أن تغادر ذلك الصندوق.

صندوق الذكريات.

تريد فقط أن تحبس عقلها بداخله ولو للأبد.

تذكرت عندما ماتت أمها بسبب مرض في القلب.

تركتها شبه وحيدة، فقط في أحضان روحان ودامار.

و..

ودانتي.

لا نستطيع تمامًا أن نقول دانتي، فهو بعدها بفترة وجيزة التحق بالجيش.

كان في البداية مهزوزًا.

كان خائفًا، ولكن مرت سنون ولم تعد تستطيع سيلين نفسها أن تتعرف عليه بعد الآن.

عاد دانتي بعد سنين من بقائه في الجيش في هيئة شاب. لقد كبر، نضج. أصبح مميزًا وذا شخصية فريدة.

كان يلتقي سيلين في إجازاته القصيرة. كانا يقضيان الوقت يضحكان. يتحدثان كصديقين حميمين.

لم يجرؤ أحدهما حينئذ على التفكير في غير ذلك.

****

لا تزال سيلين تغمض عينيها.

لقد مرت عشرون دقيقة، وهي لا تزال هكذا.

مرّ المسلحون يبحثون عنهما، وهي ظلت هكذا.

وكأنها لم تعد تأبه بشيء.

لم يقطع الصمت سوى صوت إبينور.

-"سيلين، ربما يجب أن نذهب الآن".

ردت عليه بضعف شديد:

-"وَلِمَ الهرب؟"

"وَلِمَ أختار أن أبقى وحيدة في الدنيا؟"

"لقد قتلوا أبي وأخي ودمروا مدينتي، وفعلوا بدانتي الأفاعيل".

"أنا فقط لا أستطيع أن أتصور ما قلته".

"إنه بشع، قطعوا جسده، وسكبوا عليه مادة حارقة".

"لقد قتلوه وهو حي ألف مرة يا إبينور".

"هل ماتوا حقًّا؟"

تجاهل إبينور كل ما قالته سيلين، فهو ما زال مؤمنًا بأن دانتي المتسبب في كل ذلك.

-"استمعي إليّ، استمعي جيدًا، سوف نهرب الآن".

"أنتِ استمري جهة الشمال".

"سوف تجدين بلدًا قريبًا اسمه يوتوبيا".

"سوف يكون سعدك إذا نجحتِ في الوصول إلى هناك، وأنا سأحاول اللحاق بكِ".

"اذهبي الآن أرجوكِ".

ودفعها إبينور للخارج دفعًا.

فكرت سيلين.. وداع آخر، والسؤال نفسه يتردد:

-"وماذا عنك يا إبينور؟!"

-"أنا عندي مهمة أؤديها، ثم سألحق بكِ".

"اذهبي الآن".

****

كان السلطان روحان قابضًا على سلطته ومتحكمًا في كل شيء.

وكان دامار متفقًا معه على طول الطريق.

أما دانتي فلم يكن إلا قائدًا في الجيش لا يحق له حتى الحديث.

لذا كان حبهما يُعَدُّ صداقة خفية. حتى الصداقة لم يجرؤا على الاعتراف بها.

مرت العربة على بحيرة صغيرة بشجرة وحيدة ذكَّرتها بلقائهما سويًّا عند بحيرة جميلة في داساني، كانت تسمى بحيرة شورس.

كان دانتي وقتها في عامِه الثاني بالجيش، وكان عائدًا للتو من تدريب صعب، ولم يكن قد أخذ راحة منذ وقت طويل.

سارت سيلين يومها متجهةً نحو حافة البحيرة.

وجدتها محاطة بالورد من جميع الجوانب.

كانت الرائحة حقًّا عطرة.

جلست سيلين وتأملت البحيرة لفترة.

ثم تكلمت معها.

-"هل تعلمين أن اليوم هو يوم مميز بالنسبة لي؟"

"ألا تريدين أن تسأليني لِمَ؟"

"سَلِيْنِي.. هيا".

ثم فجأة لمحت صورة في المياه تتحرك.

شيء ما يتجه نحوها.

فزعت سيلين وقامت بسرعة، وجدت أن ثمة شيئًا يتدلى من جزع الشجرة نازلًا إلى الأسفل حتى وصل إلى مستوى يديها.

****

ظلت سيلين تجري وسط السراديب التي بدت بلا نهاية حتى وصلت أخيرًا إلى خارج المبنى.

ظلت تتسلق وتقفز من فوق الأبنية حتى وصلت إلى ساحة واسعة وعريضة ومليئة بالحراس. كان عليها أن تجتازها لتصل إلى الخارج.

أحست بالإحباط الشديد.

لم تظهر دائما عقبات؟ بجانب أن حالتها أصبحت مزرية، فهي تحس بالجوع وبالبرد أيضًا.

أرادت أن تبكي وبشدة.

تذكرت سيلين أمها، وظلت تبكي عليها في تلك اللحظة بالذات أكثر مما فعلت منذ سنين عدة.

وحتى آخر عمرها، لم تدرك لِمَ فعلت ذلك في هذا الوقت بعينه. وكأنها تذكرت هموم حياتها فجأة.

وفجأة أيضًا، حدث انفجار رهيب وجرى كل الحراس في ذلك الاتجاه.

ها هو القدر يفسح لها مجالًا للحركة مرة أخرى.

أخذت سيلين بالعَدْو.

وصلت إلى عربتها أخيرًا.

قادتها بهدوء، بعيدًا عن الحجارة، ثم انطلقت.

انطلقت بعيدًا جدًّا.

****

مدت سيلين يدها، ونزعت علبة مُعلّقة في حبل طويل. فتحتها بهدوء. ثم وجدت ما جعلها تضحك وبشدة، ظلت تضحك من قلبها.

ثم التفتت وراءها ونادت:

-"هيا، اظهر الآن".

"هيا يا دانتي. لا أحد سواك يعرف هذا السر".

ظهر دانتي من بين الزهور. اتجه نحوها مبتسمًا.

قالت له سيلين بدلال:

-"ما هذا الذي أحضرته لي؟"

رد دانتي:

-" لِمَ أنتِ غاضبة هكذا؟ ألم يكن هذا الكرتون صديقًا لنا؟"

"صديقنا السِّرِّيَّ منذ سنوات؟"

"عيد ميلاد سعيد يا ابنة عمي".

-" لم تقول لي تلك الكلمة منذ كثير من الوقت يا دانتي"

-"أنتِ تعرفين أنني لا أستطيع أن أقولها أمام أحد".

"أمام الناس أنتِ أميرتي، ابنة سلطاني وأخت ولي عهد المملكة التي أعيش فيها".

ردت بحزن:

-"وبعيدًا عن الناس؟"

رد دانتي مترددًا:

-"ابنة عمي التي أحبها، وسأحميها للأبد".

أحست سيلين بحسرة شديدة.

فعلى ما يبدو أن دانتي لن يتحدث أبدًا.

****

سارت العربة وسط الضباب لساعات عديدة حتى حدث ما توقعته سيلين.

لقد سقط الحصان من التعب.

"أنا لست غاضبة منك. أنت مشكور على هذا يا صديقى".

ثم تركت العربة، ومشت وسط صحراء مقفرة.

تبدو بلا نهاية. حلّ عليها التعب.

فقررت أن تبيع الدنيا بما فيها.

سوف تنام في الصحراء.

لم تأبه بعد الآن بالمسلحين أو خرمان أو بالعقارب أو بالبرد.

سوف تنام.

****

جلسا بجانب البحيرة صامتين لفترة طويلة.

حتى قطعت سيلين ذلك الصمت بسؤال لطالما تردد في ذهنها.

-"لِمَ نلتقي سرًّا يا دانتي؟!"

ظل يفكر قليلًا، ثم قال:

-"لأن السلطان منعني من لقائك وحدنا منذ سنوات عدة".

نظرت إليه سيلين قائلة:

-"هل أنت غاضب منه؟!"

رد دانتي بدون حتى أن يفكر:

-"بالطبع لا، هو فقط يريد حمايتك".

-"ممن؟! منك أنت؟"

-"ليس مني بالذات، من كل الناس".

-"هل أقول لك أنا ما لا تريد أن تقوله أنت؟"

فنظر لها دانتي وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.

ضحكت سيلين وقالت:

-"أكره ابتسامتك تلك يا دانتي".

-"بل تعشقينها بالطبع".

ضحك الاثنان عاليًا، وصمتا ثانية.

قطع دانتي الصمت تلك المرة قائلًا:

-"يخاف السلطان أن نقع في حب بعضنا بعضًا".

"لذلك فصل بيننا منذ سنين عدة".

-"وماذا إذاً ؟!"

فكر دانتي، ثم قال:

-"لا أعرف".

"ربما يرى أنني لا أليق بكِ، مثلما قلت لكِ من قبل: أنتِ أميرتي وابنة سلطاني".

قالها بكل حزن، ثم قام بسرعة ووقف يتأمل المياه.

ذهبت وراءه، ووقفت جانبه ثم قالت:

-"أنا لا أريد أن أكون هكذا".

"مثلما تقول أنت عني".

-"أنتِ سوف تجلبين لي المشكلات. تذكّري ذلك".

ابتسمت سيلين.

ثم هزت كتفيها متسائلة: ماذا بعد؟

نظر عاليًا، ثم انفجر ضاحكًا وقال:

-"آهٍ منك يا سيلين!"

"ماذا سأنتظر من فتاة كانت تحدث البحيرة منذ قليل؟"

قالت سيلين وهي لا تستطيع أن تتوقف عن الضحك:

-"هل تظنني مجنونة؟!"

ثم هدأ ضحكهما.

وسألته سيلين جادة:

-"قل لي حقًّا يا دانتي".

"كيف تجد مثل تلك التصرفات؟"

-"جنون".

رد دانتي ضاحكًا.

دفعته سيلين، واستدارت، ولكنه أمسك ذراعها مسرعًا، وقال لها:

-"إنك تفعلين ذلك لأنك سيلين الرقيقة".

"هل تتذكرين؟"

"أنتِ حساسة مثل النسيم".

"لا أستغرب عليكِ ذلك".

"فلا أحد يعرف سيلين مثل دانتي".

ابتسمت سيلين ابتسامة رقيقة، ونظرت إلى عيني دانتي، وجدت حزنهما الدائم قد تحول إلى دموع تترقرق في عينيه الزرقاوين.

ثم اندفعت بلا تردد في أحضانه.

احتضنها بشدة جعلتها تحس أن ليس هناك مزيدًا من اللحظات الأليمة.

سوف يوجد الحب فقط!

****

لا أحد يعرف سيلين مثل دانتي..

اهتزت العربة.

راما.

المجزر.

إبينور.

ظلام، ارتعاد، سخونة، إنه هو.

الموت يقترب..

أخذت سيلين تهذي بتلك الكلمات.

مثل امرأة مجنونة قد أطلقوها في الصحراء، جائعة، محمومة، وتحس - فوق كل ذلك- بالبرد.

ظلت تهذي وتمشي.

تهذي وتمشي.

حتى سقطت بالقرب من سلك طويل يمتد لأمتار بل لكيلومترات.

سلك شائك!

****

أفاقت سيلين بعد مرور كثيرٍ من الوقت، ظنته ساعتين، وسوف تعلم لاحقًا أنه كان يومين.

كانت ترقد على سرير خشبي، وحولها امرأتان أخذتا تتفحصانها.

أخذتا تنظران إليها باستغراب وتهمهمان معًّا.

ثم فتح الباب ودخلت منه امرأة أخرى تلبس أبيضَ ووشاحًا أحمر على رأسها. أَبْدَتْ لها المرأتان كثيرًا من الاحترام.

اقتربت من سيلين ببطء.

ثم مدت يدها، ولمست كتف سيلين بعطف شديد، ثم همست بمزيد من الرقة.

-"هل تسمعينني؟!"

"هيا، أفيقي! أنتِ بخير الآن".

كانت سيلين تحس بالضبط وكأنها عالقة بين عالمين.

هي ترى ما يدور حولها بكل وضوح، ولكن أيضًا لا تستطيع أن تفيق. تسمعهم ولا تستطيع أن تتكلم لترد. ثم ساد الظلام.

****

أناس كثيرون يملئون الشوارع الآن.

علت الأصوات والهتافات.

تعالت النداءات معلنة أنها لن تخاف بعد اليوم.

لا مزيد من الطأطأة.

لا مزيد من صوت ضعيف.

كانوا مجموعة من شباب لا تزيد أعمارهم عن الثلاثين. ظلوا يجرون ويهتفون. ووراءهم الحرس يجرون فقط.

كان هناك كثيرٌ منهم.

وكانوا يهتفون بكثيرٍ من الكلام.

كانوا ينددون بحكم السلطان روحان!

****

ما كانت سوى دقائق حتى استعادت سيلين وعيها بالكامل وأدركت لماذا.

فلقد قامت المرأة ذات الوشاح الأحمر بإدخال حقنة في يدها، وفي الجهة الأخرى من الأنبوب الطويل المعلق في طرف الحقنة، يوجد محلول معلق على حامل حديدي.

-"مرحبًا؟! بماذا تشعرين الآن؟!"

قامت سيلين، وجلست على السرير.

أخذت تتفحص المكان حولها.

كان عبارة عن حجرة دائرية يقع السرير عند أحد أقواسها.

ولا تحتوى على شيء آخر سوى مصباح كبير معلق فوق السرير بالضبط، وأيضًا خزانة صغيرة بدُرْجَينِ اثنين. وشرفة مغلقة.

-"أنا أعلم أنك مستغربة، ولكن هناك كثيرًا يجب أن نعلم بشأنه عنك".

ثم سكتت لفترة، ثم قالت:

"ما اسمك؟!"

صمتت سيلين طويلًا، ثم ردت في الأخير.

****

هي نفسها. الحجرة نفسها التي اختبأت سيلين فيها قبيل الهروب.

تحتوي على منضدة وحولها كراسٍ عدة، على رأسها يجلس روحان وبجانبه دامار ونواب السلطان.

وفي الأخير يجلس شاب آخر.

شاب لا يكون إلا قائد أحد أقسام الجيش.

شاب نسيه الزمان وبخل عليه بما أعطاه لجميع الناس.

ضن عليه السعادة.

ضن عليه الحرية. حتى عمه قد نسي أنه عمه وأصبح لا يعتبره إلا دانتي قائد إحدى المركبات، ثم إحدى السَّرِيَّات، ثم أحد المعسكرات.

لقد نسوا جميعًا دانتى إيجالي، حتى ظنوا جميعًا أنه هو نفسه قد نسي أنه إيجالي، تحدث السلطان روحان في البداية. أصبح يجادل ويحاور.

قام قائد الجيش حينها محارب السنين الذي كانوا يطلقون عليه لقب الفارس. تحدث الفارس الذي أصبح الآن يتجاوز الستين، الذي أصبح منهك الجسد والصحة حتى ليمتطي جواده، فكيف هو فارسٌ إذن؟!

كان دانتي دائمًا يقول ذلك لنفسه.

ليس حقدًا، ولكن اعترافًا.

عشق دانتي -على الدوام- الاعتراف بالحقيقة، وكارثته الشخصية أنه كان لا يتورع أن يعترف بها أمام صاحبها. فكثيرًا ما كان يوقع نفسه في مشكلات، ولكنه أيضًا لم يكن ليأبه بذلك.

****

-"اسمي.. اسمي".

"اسمي سيلين".

-"مرحبًا سيلين، أنا دُرَّة".

سكتت المرأة فترة، ثم سألتها: "من أين أنتِ يا سيلين؟!"

ترددت سيلين للمرة الثانية، ولكنها عرفت أنها الطريقة الوحيدة حتى يعثر عليها أحدهم.

ولكن ماذا إذا كانوا تابعين لخرمان؟

ماذا...

ثم ردت بسرعة:

-"أنا سيلين، كنت أعمل في حقول داساني وبيوتها كخادمة، وبعد الحرب هربت.. هربت وجئت إلى هنا".

ردت المرأة:

-"ولكنك لا تبدين كخادمة على الإطلاق؛ يداكِ ناعمتان".

ردت سيلين بدون أي تردد تلك المرة:

-"نعم، أنا خادمة، طوال عمري كنت خادمة".

وفي ذهنها ظلت تردد:

ليتك هنا يا أبي.

ليتك هنا يا دانتي.

وانقبض قلبها بشدة.

****

طال الاجتماع.

دارت أحاديث كانت من قبل تعتبر تافهة ولا أهمية لها.

مثل مناقشة أمور سكان داساني أنفسهم.

فكثيرًا ما كره دانتي حكم عمه، ولكنه لطالما أيضًا احترمه.

فلا بديلًا لحكم عائلة إيجالي.

مهما كانت مساوئها، فلا بديل لها.

هكذا كان يتردد من جميع الأجداد.

وهكذا اقترب دانتي من أن يعتقد في هذا الكلام تمامًا.

لم يقطع الاجتماع سوى اقتحام أحد الحراس المكان.

مما دعا الفارس أن يهب بسرعة من كرسيه.

-"أنت أيها الجندي، كيف تقتحم اجتماعنا هكذا؟!!"

وبينما يستعد ليكمل صراخه حتى عاجله الجندي:

-"سيدي! إن حشود سكان داساني تقودهم جماعات خرمان تتجه الآن نحو القصر".

خر الفارس على كرسيه، بينما صار روحان مثل المصعوق، ودامار مثل كل حياته لا يفهم شيئًا في سياسة داساني، ولا يدرك ماذا يحدث، فأبلغ اهتماماته كانت علومه ورحلاته.

صارت كثيرٌ من الهمهمات.

لم يقطعها إلا صوت روحان وهو يقول للفارس:

-"ماذا يجب أن نفعل الآن؟!"

-"تخلى عن الحكم يا سيدي".

-"ماذا تقول يا فارس؟ هل أنت جاد؟!"

-"لا أقصد خيانتك يا سيدي، ولا أنوي ذلك على الإطلاق".

"سيدى، إن شعبك يتجه الآن نحو قصرك. أرجوك! بل أتوسل إليك ألا تطلب مني أن أطلق عليهم الحرس ليقتلوهم. أرجوك!".

تنهد روحان مفكرًا مهموماً.

تدخل دامار تلك المرة:

-"أبي".

لم يهتم له روحان، فهو يدرك أنه إذا كان لديه ابن يهتم بالسلطة وبالحكم، فما كان صار كل هذا أبدًا.

-"أبي، إن فارسًا غير محق يا أبي. فَلْتَقْضِ على هؤلاء الخونة، ألم تُلَقِّنِّي أنت ذلك منذ نعومة أظافري؟"

رد روحان متألمًا.

-"لم أقل ذلك يا دامار. لقد قلت لك الخونة وليس شعبك".

-"عن أي شعب تتحدث؟ لقد خانوك جميعًا يا أبي؛ إنهم لا يستحقون إلا الموت".

مرت دقائق ولم يَرُد روحان.

"سوف يقضون علينا حتمًا؛ إن أتيحت لهم الفرصة، فقط دعهم يقتلونهم جميعًا".

اهتز الفارس بشدة لتلك الكلمات المحرِّضة على الخراب. خراب داساني كلها.

وتحدث بسرعة:

-"أنا أعدكم بالحماية الدائمة. لجميع أفراد عائلة إيجالي. أرجوكم لا تخافوا".

رد روحان وقد بدأ يهدأ:

-"وماذا سيحدث بعد؟ ماذا بعد يا فارس؟!"

****

قامت سيلين من سريرها الخشبي، وقررت أن تتحرك نحو الخارج، فنهرتها المرأة، ولكن سيلين أصرت واندفعت نحو الخارج بسرعة بعدما نزعت الحقنة من يدها.

خرجت لتجد أن المشهد في الخارج لا يقل عن جنة.

جنة صنعها الله بنفسه على أرضه.

لقد كانت الحجرة تطل على بحر.

بحر ذي شاطئ ساحر، رمال صفراء، مياة نقية، نخيل عالٍ. وهواء، لا إنه نسيم. النسيم اللطيف نفسه الذي يشبه نسيم داساني.

استدارت سيلين. استدارت لتشاهد مدينة ذوي الحظوظ الطيبة فقط.

شاهدت مدينة القلوب النقية. مدينة العدل، الخير. مدينة الله.

لقد وجدت يوتوبيا.

****

-"عدالة. هذا كل ما نطالب به. فقط العدالة".

هكذا نطق أونوس.

رجل طويل ذو لحية سوداء، يرتدي ملابس سوداء أيضًا، ولديه عين واحدة.

كان يدّعي دائمًا أنه فقد عينه اليسرى على يد أحد جنود فارس الذي طالما رفض الاعتراف بذلك.

هكذا كان يتحدث أونوس دائمًا.

-"أعطونا الحياة ولو لمرة. نحن نريد خدمة كل سكان داساني ولو كانت دماؤنا هي الثمن لذلك".

رد روحان:

-"وماذا عنا يا أونوس؟!"

-"أنتم أتيتم بي هنا الآن من وسط كل الجموع في الخارج. إذن لديكم اتفاق. دعوني أسمعه".

رد فارس:

-"الجموع في طريقها إلى هنا، وليست بالخارج. ونحن لم نأتِ بكَ. أنتَ طلبت مقابلتنا. فلتكن واضحًا قليلًا".

ضحك أونوس، ثم قال:

-"لقد أتيت لكي أحصل على المزيد".

رد روحان هذة المرة مستهزئًا من طريقة أونوس:

-"وعلامَ حصلت حتى الآن أيها المتمرد؟"

-"على حب وتأييد شعبك كله يا سلطاني العظيم".

-"لقد خدعت شعبي. أوهمته أن نجاته في يدك أنت. لطالما اختلفنا يا أونوس، ولطالما كان الزمن يثبت لي أنني على صواب على الدوام. قل لي: ماذا تريد؟"

رد أونوس وفي عينيه تحدي الدنيا كله:

-"حكم داساني. أنا أريد حكم داساني كلها".

انفجر روحان ضاحكًا.

ثم توقف بعد كثير من الضحك، وقال:

-"خرمان. خرمان تريد أن تحكم داساني. يا إلهي! إننا فى زمن العجائب أم ماذا؟"

وانفجر ضاحكًا مرة ثانية.

أوشك أونوس أن يستل سيفه ويقتل به من يجده الأقرب، ولكنه هدأ، وتوقف، ثم انسحب بسرعة شديدة إلى الخارج.

انسحب.

رجع إلى خرمان وشعب داساني، وقادهم نحو القصر.

ليقتلوا روحان!

****

رجعت سيلين إلى حجرتها الدائرية.

ارتمت على السرير، وأغلقت عينيها لبرهة من الوقت محاولة تذكر واستيعاب ما حدث مؤخرًا.

مر بعض الوقت حتى سمعت همهمات في الخارج.

ارتبكت وقامت بسرعة، فهناك وقع أقدام كثيرة تتجه نحو المكان.

وحدث ما توقعته.

انفتح الباب، ثم دخل منه شيخ كبير، وبجانبه شاب ومعهما درة وامرأة أخرى تبدو وكأنها مساعدتها.

تأملتهما سيلين بسرعة، وتسارعت ضربات قلبها.

على الرغم من أن الشيخ يبدو شكله رجل خير وسلام. وبالفعل، عندما تحدث، هدأت سيلين قليلًا.

-"مرحبًا بك، لقد علمت أن اسمك سيلين. أهلًا بكِ في يوتوبيا يا سيلين".

هزت سيلين فقط رأسها دون أن تنطق كلمة.

"أنتِ حتمًا لا تعرفينني، أنا شيخ رضوان أحمد خليفة المملكة".

تكلمت سيلين بصعوبة تلك المرة:

-"أنا.. أهلًا بك".

جلس الشيخ وعلى وجهه ابتسامة هادئة، ثم أشار إليها بالجلوس، بينما ظل الباقون واقفين.

-"ماذا حدث لمدينتك يا ابنتي؟ لِمَ أَتَيتِ إلى هنا؟!"

فكرت سيلين قليلًا، ثم أدركت أنه لا جدوى من الكذب على مثل شيخ طيب. فقط قليلٌ من الكذب.

-"لقد تدمرت مدينتي. لقد هربت إلى هنا؛ طمعًا في حمايتكم لي".

رد الشيخ رضوان:

-"نحن بالفعل علمنا ذلك. لقد وردتنا الأخبار الأليمة عن داساني".

ثم سكت لبرهة، واستكمل حديثه:

"ليس لدينا مانع في بقائك هنا، ولكن...".

****

سارت جموع سكان داساني، يقودهم أونوس نحو قصر السلطان روحان إيجالي. ولم يعد يفرق مع أي منهم رد فعل حرس الفارس على ذلك.

كانت انتفاضة ضد حكم سلطان ظالم.

هكذا كانوا يتحدثون دائمًا. وهكذا، اتفق معهم دانتي، ولكنه كان قَلِقًا للغاية. لم يقطع سير الجموع سوى سلسلة من الحرس. قطعت طريقهم، ومنعتهم من التقدم أكثر. توقف المسير، وكثرت الأحاديث الجانبية، بينما استعد أونوس وجماعته، كل منهم سلاحه في يده.

لم يمنعهم من الضرب بسيوفهم سوى ظهور الفارس في الأفق.

أخذ يقترب مع حرسه الخاص حتى وقف على مرأى منهم جميعًا.

-"يا جموع شعب داساني العظيم، لقد جئت اليوم ليحل السلام والأمن على بلادنا. لا نريد مزيدًا من الدماء، ولن يكون هناك.. لقد أعلن سلطان داساني روحان إيجالي أنه على استعداد لترك الكرسي لمن يختاره شعب داساني".

وفي تلك اللحظة بالذات، سارت اللمسة الخفية مثل انتقال التيار العصبي أو الكهرباء في الأسلاك.

واحد من خرمان يحفز الآخر فالآخر حتى أحد سكان داساني فالآخر فالآخر حتى أصبحوا كلهم يهتفون باسم أونوس.

ارتجت قاعة الاجتماعات من أصوات الجماهير.

خفق قلب دامار خوفًا، بينما استل دانتي سلاحه، وانطلق إلى الخارج، فوجد في طريقه الفارس وهو عائد.

فناداه مسرعًا:

-"إلى أين أنت ذاهب يا دانتي؟"

فرد دانتي بكل برود:

-"لأحلف اليمين أمام سلطاني الجديد!"

****

-"لست متفاجئًا على الإطلاق".

"لطالما كانت هذه نهاية الظلم".

هكذا برر رضوان خراب داساني..

وساد صمت لفترة، لم يقطعه سوى صوت الشاب يقول لرضوان:

-"شيخ رضوان، ألا يجدر بنا الذهاب الآن لأداء الصلاة؟"

-"معك حق يا ماربيل. ولكنّ هناك حديثًا لم أكمله مع تلك السيدة".

ردت سيلين بلطف وقلق متزايد:

-"تفضَّل".

-"هنا في يوتوبيا كل منا يقوم بعمل ما. فوق سن الثامنة عشرة ليس لدينا عاطلون عن العمل، ولذلك يا سيدتي، فسوف يُوَكَّلُ لك من الغد أداء أحد الأعمال..".

تسارعت أنفاس سيلين، وانتابها القلق؛ فالشيخ سوف يكمل جملته الآن؛ ليفصح عن طبيعة العمل. تمنت سيلين لو أن الوقت يمهلها قليلًا للصلاة، أن يكون أحد الأعمال التي تقدر عليها، فهي في قصرها حقًّا لم تكن تفعل شيئًا و..

تحدث رضوان لينهي فترة عذابها ليسلمها إلى خوف رهيب:

-"سوف تلتحقين من الغد بقصر ماربيل، سوف تكونين خادمة من خدمِه الخاص يا سيلين".

لم تتح الصدمة لسيلين الفرصة لتتحدث أو تعترض، حتى قام الشيخ، وذهب وخلفه ماربيل الذي رأت على وجهه ابتسامة حقًّا أرعبتها. ابتسامة فرح وانتصار. ابتسامة لا تعني إلا فرحة بالوجود بقربها!!

****

الساعة الآن الواحدة صباحًا.

انتهت الأزمة الحارة.

أوى كلٌّ إلى كرسيه.

وهناك آخرون ممن نُزِعَ منهم كرسيهم، وهؤلاء لن يهنئوا بتلك الليلة، فهم يجهزون أمتعتهم للرحيل لترك قصور داساني، وليصبحوا من عامة الشعب. ولكن كان هناك أصغر فرد في العائلة المالكة.

الأميرة الصغيرة.

التي لم تكن منشغلة إلا بالبحث عن هذا الإيجالي الذي على ما يبدو قد نال كل شيء تلك الليلة.

مشى دانتي في أروقة القصر فخورًا ومتباهيًا. لقد أصبح في لمح البصر مكان الفارس. في ليلة وضحاها أصبح قائد جمع جيوش داساني كلها. نال ما لم يكن يحلم به قط.

وفي هذه الليلة بالذات، لم يكن يملك الوقت للقاء أحد، وربما سيلين نفسها. ولكنها لم تكن لتبدد مثل تلك فرصة أخيرة.

أرسلت سيلين خادمتها التي تحدثت مع أحد الحراس الذي بدوره قام بإيصال رسالة ما إلى دانتي مفادها حتمية ذلك اللقاء. انتظرت سيلين قرابة النصف ساعة. في بلكونة تطل على حديقة خلفية. بها بضع نخلات وزروع أخرى خضراء. كانت تقف أمامها يمامة بيضاء ترفض التحليق.

اقتربت منها سيلين، لمستها بأصابعها، واستغربت أن اليمامة لم تخف أو تطير. ولكن فجأة، فزعت وطارت. طارت بعيدًا.

فالتفتت سيلين، وأدركت أن هناك شرًّا آتيًا.

هناك شر قد أتى.

مشيت بضع خطوات.

نظرت باحتقار، ثم قالت:-"مرحبًا بابن عمي الخائن".

"مرحبًا بك يا دانتي".

****

قضت سيلين ليلتها مرتعدة، وكانت تدعو الله ألا يأتي ذلك الصباح أبدًا.

بدأت تتصور أنها إذا كانت ماتت في كل ما حدث في الأيام الماضية، فلربما كان أفضل لها.

ولكن كانت لتكون ميتة بشعة حقًّا.

وها هي الآن نجت منها، لتصير خادمة.

أو بالأصح عشيقة لأحد أسياد تلك المدينة.

لم تستطع أن تتذكر حينها سوى دانتي.

ببساطة، لأنها أيضًا لم تتصور زوجًا لها سواه.

كان عقلها يتخيلهما دائمًا معًا.

سعداء.

مرحين.

وكأنهما قد ملكا الدنيا.

ولكن الدنيا قد غدرت بهما.

ليتك كنت هنا الآن؛ لتنقذني من هذا الجحيم.

سواء كنت خائنًا أم لا.

فقط، اِئْت وأنقذني مرة أخرى يا دانتي.

فقط ائتِ.

انطفأت الأنوار.

نامت العيون، ولم يبقَ سوى الدموع التي لم تجف.

لن تجف.

****

-"أنا لا أفهم شيئًا على الإطلاق!"

"هل دامار مُحِقٌّ؟"

"أنت صنعت كل ذلك يا دانتي؟"

صمت دانتي، ولم يرد أن يرد.

خاف أن يكون كلامه جارحًا.

"أستظل صامتًا طوال الليل أم ماذا؟!"

تنهد دانتي.

- "أنت محقة".

"أنا حقًّا لا أريد الحديث الليلة".

-"هل اكتفيت بالاحتفال خارجًا؟"

"أمسيتك انتهت، أليس كذلك؟"

-"هل تتذكرين أحاديثنا الطويلة يا سيلين؟!"

"ألم تنتقدي أنتِ بنفسك حكم السلطان؟!"

-"ولكن لم أقل لكِ إنني مستعدة للتخلي عن كَوْنِي أميرة من أجل أونوس".

"من أجل جماعة خرمان".

رد دانتي بكل هدوء وسط عاصفة انفعالها، مما زاد الوضع بينهما اشتعالًا:

-"هذا ما اقتضته الظروف".

لم تصدق سيلين ما سمعت للتو.

ضحكت بسخرية.

-"هل هذا حقًّا ردك على ما حدث الليلة؟"

"ولكن، أتعلَم؟ أنا الغبية هنا. كنت الغبية طوال الوقت".

"لم أنتظرك الآن لتقول الحقيقة، أو على الأقل تقول شيئًا يريحني".

"كَوْنُ أونوس اختارك".

قاطعها دانتي:

-"أنا لم أتحدث مع أونوس قبل تلك الليلة أبدًا".

"لا أسمح لكِ أن تشككي فِيَّ يا سيلين".

-"إن لم تكن تعلم لِمَ اختارك أونوس، فأنا أستطيع أن أقول لك".

ووسط تلك العصبية، لم يجد دانتي الفرصة حتى يبرر ما حدث، مما أعطى سيلين الفرصة لكي تخطئ وتخطئ، وتقول أشياء سوف تندم عليها لفترة طويلة حقًّا، وسوف تجرح دانتي، ولن ينساها أبدًا!

****

أشرقت الشمس على مدينة العدل والحرية.

على يوتوبيا.

وهو الشيء الذي لم يقنع سيلين قط.

كيف هي مدينة عدل وتسامح، وقد أرسلوها للتو إلى قصر شخص يدعى ماربيل؛ حتى تصبح جارية عنده يفعل بها كيف يشاء؟

كان صباح لم تتمنه قط.

سارت في الطريق حتى وصلت إلى القصر. لم تكن تتذكر حتى ما رأت في الطريق. فهي لم تكن تفكر إلا في كيفية الخروج من ذلك المأزق. وفكرت أنه ليس هناك سوى حل واحد فقط.

حل واحد إذا فشلت كل الحلول الأخرى.

ألا وهو قتل ماربيل.

قررت سيلين أنها سوف تعكر صفو مدينة السلام بجريمة قتل هذا الصباح.

-"آه يا أبي. لو تعلم ما حل بي بعدك".

****

-"هل تريد حقًّا أن أقول لك لم اختارك أونوس؟!"

-"نعم، تكلّمي، أريحي قلبك".

"فمن واجبي الآن أن أتحملك".

وتنهّد دانتي تنهيدة يأس.

فهو لم يتوقع ذلك من سيلين بالذات.

تصور أنها سوف تدعمه، وهو لم يكن يعلم أن ما يخبئه القدر هو مزيد من التخلي ومزيد من الخذلان.

-"أونوس اختارك؛ لأن أبي.."

وسكتت لحظة كأن عقلها يعطيها فرصة أخيرة؛ حتى لا تمشي في طريق تقطع به أوتارًا بلا رجعة.

أوتار كمان ظل يعزف ويعزف لسنوات طويلة، وفي طريقه الآن إلى الكتمان، ولكنها قررت أن تتكلم.

-"أبي كان يبعدك تمامًا عن الحكم. ترك لدامار كل شيء من بعده، وحتى الفارس، ولكنه لم يعطك شيئًا، ولم يكن ليعطيك شيئًا".

"أونوس اختارك؛ لأنه يعتقد جديًّا حقدك على أبي وعلى عائلتنا كلها".

"ولقد كنت نعم الظهير له يا دانتي".

صمت دانتي، وبدون أن يهتز، فكر قليلًا، ثم نطق:

-"أتمنى ألا تطلبي لقائي ثانية".

"فلديَّ كثيرٌ لأفعله لاحقًا".

"أنا..".

"دانتي الخائن".

وذهب بلا رجعة!

****

دخلت سيلين القصر.

مشت في أروقته.

وتعجبت كم كان جميلًا!

كانت الأرضية كلها مصنوعة من الرخام.

يتلألأ في أركانه الورد ذو الروائح الذكية، وموائد ذات أرجل حديدية رفيعة تحمل كلّ منها قطعة كريستال فريدة. أما الأسقف، فكانت مليئة بالزخارف، وتتدلى منها قطع فنية منحوتة على النحاس الخالص.

أحست سيلين نفسها داخل متحف، مسجد أو كنيسة.

قادتها سيدة عبر أروقة القصر حتى وقفتا سويًّا أمام باب نحاسي.

طرقت المرأة الباب طرقتين. فتحته، وأشارت إلى سيلين بالدخول.

فترددت.، فدفعتها المرأة برفق، وأغلقت الباب وراءها.

الغرفة كانت لا تقل فخامة عن أروقة القصر.

كان يشغل الجزء الأكبر منها سرير، مصنوع من النحاس الأصفر، ذو أعمدة نحاسية، ووسائد ذات ألوان زاهية، وفي اليمين، كان هناك دولاب صغير من الخشب الأسود مع الحديد، وكرسيان من خشب العاج، وسجاجيد من بلاد فارس.

كان ماربيل جالسًا على أحد الكرسيين يقرأ كتابًا عندما دخلت سيلين، قام واقفًا بسرعة لتحيتها. اتجه نحوها، وقال:

-"مرحبًا بكِ".

"لقد كنت أنتظركِ منذ الصباح".

وقفت سيلين متسمرة في مكانها، لا تتحرك ولا تتكلم، وظل ماربيل يحوم حولها مثل صقر جارح.

-"أنا أعلم مِنْ أين أتيتِ، وأنكِ كنتِ خادمة في بلادكم. إذن، فلا بد من أنكِ تَعْلَمِينَ قواعد الخدمة".

"أليس كذلك؟"

لم تَرُد سيلين عليه.

ولكن بدأت ترتعد.

أخذ جسدها كله يرتعد.

يرتعش حتى ماربيل نفسه لاحظ ذلك.

فقام بدورته حولها، ثم وقف أمامها.

-"أنا لا أريدك أن تكوني خائفة".

"نحن سنكون.."

وفي تلك اللحظة، انفجرت سيلين بكاءً، وسقطت عند قدمي ماربيل، وأخذت تتوسل إليه وهي تبكي:

-"أرجوك".

"لا تفعل هذا بي".

"هذا لا يليق أبدًا".

"أرجوك".

"أنا أبدًا لم أكن خادمة، ولا أستطيع الآن أن أكون عشيقتك".

"أنا أميرة من داساني".

"أنا كنت أحب.."

"كنت سأتزوج ابن عمي، لولا ما حدث في بلادنا".

"أرجوك".

مد ماربيل يده، ورفع سيلين لتقف أمامه ثانية:

-"عَمَّ تتحدثين يا سيدة؟!"

****

أشرقت الشمس لتعلن أول أيام حكم أونوس لبلاد النعمة. هكذا كانوا يسمونها لِما فيها من خيرات كثيرة تكفيها وجيرانها أمد الدهر.

وداساني طالما كانت فعلًا بلاد الخير والرزق والنعمة.

لم تكن تبخل الأرض على أهلها بشيء أبدًا.

وفي إحدى غرف القصر، قصر داساني العتيق، كان يجلس أونوس ودانتي على انفراد.

-"لقد أوقعني اختيارك في مشكلات عدة يا إيجالي، ولكني مُصِرٌّ عليك حتى النهاية".

-"أنا متأسف لذلك إذن".

-"ليس لديك ذنب، لديك سجل أبيض يا دانتي. ليس فيه شائبة، كما أني أعلم أنك كنت بعيدًا عن وساخات الحكم السابق".

"أريدك ساعدي الأيمن. نريد أن نجعل داساني أفضل".

-"وهذا ما كنت أبحث عنه منذ سنين. أنا لدي خطط كثيرة".

نظر أونوس بإعجاب لدانتي.

-"أنت متحمس بشدة".

"دعني أسمع".

تكلم دانتي بكل ثقة:

-"بما أني صرت قائد جيوش داساني، فلقد قررت أن أعيد توزيع الأموال على أفراد الجيش".

"سوف أزيد من راتب كل المتقدمين الجدد، وسوف أُوَجِّه الفائض نحو بيت المال".

"ماذا تظن في ذلك؟!"

فكر أونوس قليلًا، ثم ابتسم بانشراح، وقال:

-"أنتَ مَنْ كنت أبحث عنه يا دانتي".

وتعانق الرجلان!

****

-"مثلما قلت لك أنا أميرة!"

رد ماربيل، وقد صار عصبيًّا:

-"لا، أنا أقصد لِمَ تبكين وتقولين مثل هذا الهراء؟"

"ألا تعلمين أنك على أرض يوتوبيا؟"

"لا أحد يستطيع أن يمَسّك هنا بسوء".

-"ولكنك أنت كنت..".

-"أنا لم أَعْنِ ما فهمتِ..".

"أنتِ سوف تكونين مثل مساعدة شخصية".

"تجهزين ملابسي".

"تشرفين على غسلها، كيّها، وتهتمين أيضًا ببعض أمور القصر".

تنهدت سيلين.

وابتسمت أخيرًا.

-"يا إلهي لقد فزعت".

ولكن ماربيل لم يسمع الحديث الأخير، فلقد كان عقله منشغلًا بما قالته.

-"ولكن، هل كنتِ حقًّا ستتزوجين من ابن عمك؟!"

تذكرت سيلين أن دانتي كان دائمًا وأبدًا حبها السري، وهي كانت كذلك بالنسبة له أيضًا. فَرَدَّت وقالت:

-"لا".

"أنا كنت أقول ذلك فقط لأحمي نفسي".

"أنا متأسفة".

****

مرت الأيام الأُوَل من حكم خرمان.

وأرض النعمة لم يرجع خيرها لها بعد.

ما زالت خربة ومتصدعة من حكم الفارس، وخلفه السلطان، ووراءهما الذي كان ينتظر الكعكة.

دامار.

توقفت لقاءات دانتي وسيلين تمامًا.

فتلك المرة ، لم تكن مثل أيّة مرّة قبلها.

تلك كانت مثل قطيعة أبدية.

فسيلين تعرف أن ما نطقته لم يكن سهلًا، ودانتي عَدَّ هذا قمة الخيانة.

فهو انتظر إيجالي كلها، بل داساني كلها أن تقول ذلك إلا سيلين.

ومع الأسف كانت هي أول من قال له ذلك.

كان الحوار يدور في رأسه مثل دوران كوكب في محوره بسرعة رهيبة.

أنا حاقد..

أنا خائن..

ولكن قلبه أسرع وحدثه أنه دائمًا وأبدًا لم يرغب إلا في إعمار داساني. لم يعمل إلا في حب داساني.

وهو -أولًا وأخيرًا- مدين لأونوس بإعطائه تلك الفرصة، والأيام سوف تنجلي وتبين إذا كان فَعَلَ ذلك كَحُسن اختيار أم مثلما قالت سيلين.

إن أونوس اختار أكثر واحد حقدًا على عائلة إيجالي!

****

ومثلما مرت الأيام على داساني صعبة، مرت أيام سيلين الأولى في يوتوبيا صعبة أيضًا، قضتها في خدمة ماربيل بِتَفَانٍ. هو وأمه العجوز التي كانت راقدة في الحجرة المجاورة.

ومع الأيام، توطدت علاقة سيلين بالمرأة العجوز. كان اسمها غالية. وكانت تعمل عرَّافة منذ زمن طويل، حتى نهاها الشيخ رضوان عن ذلك منذ توليه حكم يوتوبيا.

كانت تقضي سيلين نهارها كله في خدمة العائلة، وفي المساء تأوى إلى فراشها في حجرتها المجاورة لحجرة السيدة غالية كما كانت تناديها دائمًا.

كانت تجلس بجوار الشباك، وتتحدث مع نفسها كل يوم.

تحكي ما حدث.

منذ زمن بعيد.

وَكَتَرْفِيْه لنفسها بعد مشقة وتعب اليوم الطويل، تسترجع بعض الذكريات السعيدة، والتي إذا ذُكِرَتْ، يجب أن يُذْكَرَ اسم شخص واحد.

نعم، دانتي.

****

لم يطمئن دانتي مُطْلَقًا لحكم أونوس.

فهو بقراءاته الدائمة، عرف تاريخ جماعة أونوس.

وسمع أيضًا من والده كثيرًا من القصص حول زعيم تلك الجماعة الذي قام في الزمن البعيد بالقتل والحرق، وأشعل عديدًا من النزاعات، حتى تولت عائلة إيجالي الحكم، وقامت بقمع تلك الجماعة والقضاء على براثنها الشريرة.

كان في قلبه يدرك أنهم جماعة لن تأتي بالخير، ولكنّ ما كان يهون عليه، أنه على الأقل سوف يكون قريبًا منهم.

سوف يعلم إذا قرروا الغدر بداساني وشعبها، وعندها سيكون أول مَن يتصدى لهم. سوف يكون هو هذه المرة منقذهم الوحيد.

****

صارت الأحاديث اليومية بين ماربيل وسيلين تقود إلى ضحكات.

استلطف كل منهما الآخر حتى صارا مثل الأصدقاء، وعندها سألته سيلين أن يُعَرِّفَهَا المدينة، لم يرفض ماربيل على الإطلاق.

كانت تلك المرة الأولى. خرجت سيلين من القصر برفقة ماربيل، وقد وضعت على رأسها وِشاحًا مثلما تفعل معظم فتيات المدينة.

-"لِمَ اختاركَ أنتَ بالذات؟!"

-"مَن؟! شيخ رضوان؟"

هزت سيلين رأسها موافقة.

-"لأننا ندين بالديانة نفسها"

استغربت سيلين.

-"حقًّا؟! وبِمَ يدينون هم؟!"

-"بالإسلام".

"إنه الدين الرسمي ليوتوبيا".

"ولكننا نعيش معًا بسلام".

سكتت سيلين متفاجئة، وفكرت قليلًا، ثم سألته:

-"ولكني سمعتك تقول لشيخ رضوان أن يذهب إلى الصلاة".

استغرب ماربيل. -"وماذا في ذلك؟"

"انشرح صدره لله".

"أَحَبَّ الله، وأحب رسول الإسلام. إذن، فهو حر. وبما أننا أصدقاء، فلقد تجاوزنا كل تلك التفاهات".

"لم أعد أجد عيبًا أن أوجهه إلى صلاته حتى يذهب في أوقاتها، كما أنه ظل دائمًا وأبدًا أول مَن يهنئني بعيد ميلاد يسوع".

-"يا له من جمال!"

-"الجمال دائمًا يأتي من الداخل يا سيلين".

"افتحي قلبك، وَدَعِي جمالك يخرج للناس".

"لا تخجلي أبدًا".

-"وما الجمال الذي في الداخل؟!"

رد ماربيل:

-"الطيبة والأخلاق".

"إنهما لم يكونا عَيْبَيْن قط".

****

على الحدود مع داساني، كانت تقع مدينة صوران. مدينة صغيرة لا تتعدى طولًا وعرضًا ربع داساني.

كانت في الماضى جزءًا منها، ولكن مع كثرة الحروب والنزاعات، انفصلت المدينة، وظل حكامها في عداء مع إيجالي. وبما أنهم في عداء مع إيجالي، إذن فهم أعز أصدقاء جماعة خرمان!

وذلك كان نقطة التحول دائمًا في سياسة داساني. المشاحنة الأولى، والخلاف الأول، والذي أنذر دانتي بأن قلبه مُحِق.

أونوس لن يأتي بالخير!!

كان أونوس على الرغم من معرفته بنقص موارد داساني وأنها تقترب من مجاعة، فإنه كان يصر على إرسال مؤن وغذاء وأسلحة كثيرة إلى صوران.

مما كان يعرض داساني لأزمة تلو الأخرى.

حتى جاء يوم قام فيه دانتي بنفسه بحملة على الحدود مع صوران، وأوقف تلك الإمدادات.

عندها استدعى أونوس وهو في قمة الغضب دانتي. وفي نيته أنه سوف يوبخه كثيرًا.

-"لقد علمت بما حدث صباح اليوم".

سكت دانتي، ولم يرد.

"لِمَ أنت صامت يا دانتي؟!"

صرخ فيه أونوس:

-"لقد شرحت وجهة نظري مسبقًا يا سيد أونوس".

-"نادِني سيدي".

-"عفوًا، بل أنت سيد أونوس".

"أنا لست قليل الشأن لأناديك سيدي".

رد أونوس مستهزئًا:

-"رحمةً على زمان رماك فيه عمك وأنا صنعت منك قائد جيوش داساني".

"كم أنت ناكر يا دانتي!"

****

مر ماربيل وسيلين أمام معالم يوتوبيا.

كانت الشمس قد بدأت الإشراق.

ولكن السماء ملبدة بالغيوم، فلم تمر سوى أشعة قليلة.

الهواء كان باردًا، ولكن الجو -بشكل عام- كان لطيفًا، فهواء يوتوبيا البارد كان منعشًا.

توقفت سيلين فترة تشاهد روعة ذلك النهر الذي يشق المدينة.

كانت عديدٌ من زوارق الصيد رَاسِيَةً فيه.

عند الغروب، تجد غير ذلك، زوارق للسباق وللتسلية أيضًا.

وَمَشَيَا.

رأت سيلين المباني الفخمة على الطرازين الإسلامي والمدني الحديث.

عجبت لكون تلك المدينة مثل الخليط من كل شيء.

خليط يندمج مع بعضه في انسجام وسلام تام، وكأن الجنة قد نُزِعَتْ ووُضِعَتْ على الأرض.

رأت الناس يتحركون مثل مملكة النحل في نظام، وكُلٌّ ذاهبٌ ليؤدي عمله.

وظيفة معينة تصب -في الأخير- في الخير للعامة.

-"إذن!"

"أين يقع قصر الشيخ رضوان؟!"

ضحك ماربيل عاليًا.

استغربت سيلين، وسألته بدهشة:

-"لِمَ تضحك؟"

-"لأنه ليس لديه قصرًا".

"ليس لديه مكتب حتى".

توقفت سيلين عن المشي، وسألت بلهفة:

-"إذن، كيف يدير أمور يوتوبيا؟"

"كيف أ.."

"أنا لا أفهم".

رد ماربيل بهدوء:

"في يوتوبيا كل شيء قد وُضِعَتْ قوانينه من قبل".

"إن شيخ رضوان فقط يشرف علينا".

"لأن لكل سفينة رَبَّيْن".

"شيخ رضوان مكتبه شوارعنا، مساجدنا وكنائسنا، مجالس تخليص الأعمال، بيت المال، قصورنا".

"قلوبنا".

****

لم تستطع الكلمات أن تنال من غضب دانتي.

بل صمت قليلًا، وظل أونوس ينتظر ويتوقع عاصفة فى وجهه، ولكنه فِوجِئ بهدوء دانتي الرهيب.

-"لقد فَعَلْت ما توجب عليّ فعله".

"من أجل داساني، لا من أجلك، ولا من أجل نفسي".

-"إن صوران دائمًا وأبدًا جزء من داساني".

-"عفوًا، صوران كانت جزءًا من داساني. أما الآن فهي لا تمت لنا بأيّة صلة".

"من حقها علينا إعانتها وقت الشدة، ولكنك تعلم يا سيد أونوس أننا نحن الذين في وقت الشدة الآن".

ثم تأهب دانتي للانصراف.

مشي حتى وصل إلى الباب، وقال:

-"آه سيد أونوس".

"تذكّر أنني لن أسمح بأن تحدثني هكذا مجددًا".

ومشي قبل أن يرد أونوس حتى!

في تلك الليلة، لم ينم دانتي، ولم يدعها تنتهي حتى التقى صديقيه العزيزين ميلو ودوريان. صديقيّ الطفولة وزميليّ الجيش، والآن هما مساعداه الأوّلان.

التقاهما وأعطاهما التعليمات.

كان هناك غضب، وكانت مهمة دانتي أن يتعقب الغضب. يحسه وهو يسري مثل الكهرباء في الأسلاك حتى تصبح نقطة تجمع الغضب

هي في عمق يده!

****

رجعت سيلين إلى قصر ماربيل. نامت ليلها وهي تحلم بيوتوبيا مدينة العدل والحب الحقيقيين. المدينة التي سارت فيها وأحست أنها تسير في الجنة.

رأت فيها أناسًا حسبتهم ملائكة.

مدينة الجمال من الداخل.

وفي الصباح الباكر، لم تتردد في أن تسأل ماربيل لتكرار الرحلة، ولكن خاب أملها عندما مرضت السيدة غالية، واضطرت سيلين أن تجالسها طوال النهار.

كانت سيلين تشعر بضيق شديد كلما تذكرت أنه بدلًا من أن تتجول في المدينة الفاضلة، تجلس الآن بجانب سرير تمرض امرأة عجوزًا.

طُرِقَ الباب، ودخل ماربيل.

ألقى التحية على سيلين وعلى أمه واطمأنّ عليها.

ثم طلب من سيلين أن تستريح قليلًا في غرفتها.

-"أنتِ لا شك متعبة".

"فلتذهبي إلى غرفتك".

-"حسنا، بلا شك السيدة غالية قد نامت".

-"نعم، قد لا تصحو إلا غدًا؛ فهي مريضة".

"هل تعلمين أن جزاءكِ سوف يكون عظيمًا لذلك؟"

-"كيف؟ ماذا تعني؟"

-"أنتِ تفعلين خيرًا".

"لقد بذلت جهدًا لصالح شخص آخر لا يمت لك بصلة".

"قد تعتبرين ذلك عملًا مقابل بقائك، لكنك بلا شك سوف تنالين جزاءً حسنًا لذلك".

-"هل هذا ما تتعلمونه هنا؟!"

-"نعم".

"وهذا ما كان يقوله لنا الشيخ رضوان دائمًا".

"لقد كان معلمي لسنين، ولذلك فنحن مُقَرَّبَان".

-"آه، لذلك كنتما معًا عندما رأيتكما لأول مرة".

-"هو يَعُدُّنِي ابنه بما أنه ليس لديه أبناء".

سألت سيلين مستغربة:

-"ولِمَ ذلك؟!"

"هل يتوجب على زعيم يوتوبيا أن يكون بلا أبناء؟!"

-"هناك كثير من الأشياء يجب أن تعرفيها عنا يا سيلين!"

****

في غرفة اجتماع صغيرة، بعيدًا عن قصر داساني العتيق، بعيدًا عن أونوس وخرمان.

التقى دانتي بصديقيه ميلو ودوريان.

كان دانتي جالسًا على الأريكة، وحوله صديقاه على كرسيين خشبيين.

-"هيا! قولا لي آخر التطورات!"

بدأ دوريان الحديث بما أنه يشرف على الجزء الأعظم من الخطة:

-"لقد بدأنا التنفيذ على الفور".

"قمنا بزرع خلية صغيرة للغاية"

"سوف تقوم بالتعاظم رويدًا رويدًا حتى تكسر شوكة خرمان".

"ولكن يا صديقي، أنا أخشى أن تُقابَل خَلِيّتُنا الصغيرة بالرفض من جموع الشعب".

"قد تكون فكرتنا مبكرة قليلًا".

رد ميلو بسرعة:

-"بالعكس".

"إن الغضب بالفعل متأجج، وكان فقط ينتظرنا حتى نأتي ونستخدمه بالطريقة المُثلى".

صمتوا جميعًا فترة حتى قطع دوريان الصمت:

-"دانتي! هل ما نفعله هو الصحيح؟"

فكر دانتي.. لم يَرُد، حتى رد ميلو بانفعال:

-"ماذا بك يا دوريان؟ أستتراجع الآن أم ماذا؟ نحن لن نترك صديقنا مهما..."

هنا فقط تكلم دانتي:

-"توقف يا ميلو!"

"أنا لا أفعل ذلك لمصلحة شخصية"

"أنا أفعل ذلك من أجل داساني".

"كما قبلت المنصب الذي عرضه عليَّ أونوس من أجل داساني أيضًا".

ثم صمت قليلًا.

"لقد خسرت جميع عائلتي وأحبائي من أجل ذلك".

"لم يفهمني أحد قط سواكما يا صديقيَّ العزيزين".

رد دوريان:

- "أنت مُحِق"

"أنا حقًّا آسف على ذلك التردد".

"سوف يعلم شعب داساني مَن الجيد ومَن الخبيث".

"سوف يهتف باسمك كل سكان داساني".

"سوف ترى!"

****

أدركت سيلين في تلك الليلة كم هو الفارق متعاظم بين يوتوبيا وداساني وبين قلوب وأخلاق سكان يوتوبيا وداساني.

فمدينة الظلم والظلام لا تمتّ بصلة لمدينة العدل والنور.

في الصباح التالي، توجهت سيلين إلى غرفة السيدة غالية مبتسمة، وفي قلبها ارتياح؛ لأنها سوف تجني بعد قليلٍ كثيًار من الحسنات، وسوف تفعل خيرًا كثيرًا.

دخلت الغرفة التي كانت مصنوعة كلها على الطراز القديم.

شاهدتها وكأنها تشاهدها لأول مرة.

تفحصت جدرانها وأركانها.

- "هل تعجبكِ النقوش؟"

-"أجل سيدتي، تعجبني بشدة".

ابتسمت العجوز، ثم طلبت من سيلين أن تساعدها في الجلوس، فقامت سيلين على الفور ومدت لها يدها.

مسكتها السيدة برفق وجلست.

-"إن يديك ناعمتان".

"لقد كنتِ ذات شأن في بلدك على ما يبدو".

-"نعم، قليلًا. هل حدثك ماربيل عني؟"

-"لا أحتاج أن يحدثني ماربيل عن أي شيء".

"أنا أعرف مِن غرفتي هذه ما يدور في العالم بأسره".

-"هل كنتِ حقًّا عرَّافة؟!"

سكتت غالية ولم ترد.

انتهزت سيلين الفرصة التي لن تأتي ثانية.

-"هل يمكن أن تعرفي مصير أبي وعائلتي؟"

-"لا يعلم الغيب إلا الله يا ابنتي".

-"لا، أنا أعرف أنهم ماتوا. أريد فقط أن أتأكد".

تنهدت السيدة غالية، ثم قالت:

-"ما زال الوقت مبكرًا لذلك يا سيلين".

"كلٌّ يصير في حينه!".

****

وقف دانتي في منتصف الغرفة ينتظر قدوم أونوس.

طُرِق الباب، ثم دخل أحد الحراس.

-"سيد دانتي!"

التفت دانتي، ونظر إليه.

-"لقد جاءك هذا الجواب للتو".

توتر دانتي بشدة، ثم صرخ بصوت مكتوم:

-"ولِمَ جئت به إلى هنا؟!"

"هل أنت مجنون"

-"أنا آسف جدًّا يا سيدي".

-"هيا، اذهب.. اذهب".

وفتح دانتي الجواب متلهفًا ومجازفًا؛ فقد يدخل أونوس في أيّة لحظة، ثم قرأ فيه عبارة واحدة:

-"الأمانة في خير حال يا صديقي".

تنهد بارتياح، ثم طُرِقَ الباب ثانية، ودخل أونوس.

-"دانتي! القائد العظيم.. كيف حالك؟"

-"بخير".

-"تفضل بالجلوس".

"أنا سعيد يا دانتي".

"أريد أن أتأسف عمّا بدر مني المرة الماضية".

-"لا داعٍ لذلك يا سيد أونوس".

"لقد فعلت ما وجب عليَّ فعله ثانية".

-"أنا لا أريد أن أَضُرَّ داساني".

"ليتك تعلم مدى تعاطفي مع صوران".

-"أعلم ذلك، ومن اليوم معك طوال الطريق سيد أونوس!"

****

مرّ شهر آخر.

وكل يوم يمر تتعلم سيلين أشياء كثيرة، ولكن مع بدء اعتيادها على المكان وتأقلمها مع الجو الجديد، بدأت تفتقد الماضي ثانية، وبدأت تفكر في طريقة لتعرف بها أخبار بلادها.

ففي يوتوبيا لا يسمح لها بالتكلم في السياسة إطلاقًا.

حتى ماربيل على الرغم من صداقتهما سويًّا، فإنه لا يتجاوز ذلك الخط الموضوع بين ما يجب الحديث عنه وما لا يجب.

وفي إحدى الأمسيات في بيت ماربيل، والتي حضرها عدد من الأصدقاء، كان الليل صاخبًا في تلك الليلة

أصوات الموسيقى، الحديث والضحك عاليًا.

مرت ساعات، حتى بدأ الهدوء يسود المكان.

نزلت سيلين إلى الطابق الأرضي؛ حتى تبدأ تنظيفه، ولكنها فوجئت بأن أحد الضيوف لم يغادر بعد.

لقد كان الشيخ رضوان جالسًا على إحدى الأرائك مع ماربيل.

-"أنا آسفة! لقد ظننت أن جميع الضيوف قد رحلوا".

-"لا، لا. تعالي يا سيلين! اجلسي!"

جلست سيلين على الأريكة.

ثم سأل الشيخ رضوان:

-"كيف تجدين يوتوبيا يا سيلين؟!"

تنهدت سيلين، وبدت وكأنها تتذكر، ثم ردت:

-"في بلادنا يا سيدي، لا يجلس الخدم على الأرائك، بل بجوارنا على الأرض".

أغمض رضوان عينيه متألمًا.

نظرت سيليت إليه، واستغربت، ثم قالت:

-"إذا كان ذلك الشيء مؤلمًا، فماذا إذا سمعت البقية؟!"

-"هل تَرْجِين العودة إلى بلادك يومًا؟"

طلت تلك النظرة الحزينة على وجهها، ثم قالت:

-"بالتأكيد".

"بلادي ستظل بلادي".

"لقد كان لدينا.."

"أقصد لديَّ حلم بالتغيير، ولكنه تحول إلى كارثة بالنهاية".

"لقد أطاح ذلك الحلم بعائلتي ثم بدولتنا كلها".

"لقد قتل أحبائي جميعًا".

"لم يبقَ لي شيء".

بدا الشيخ رضوان وماربيل متأثرين، ثم قال رضوان:

-"وأين إيمانك يا سيلين؟!"

"ألا تؤمنين بالقدر؟!"

اضطربت سيلين، وقالت:

-"أنا لا أعرف".

رد رضوان بثقة:

-"إذن آمني به".

"إنه يفعل الأعاجيب".

ابتسمت سيلين أخيرًا، ثم تنهدت بارتياح.

عمَّ الصمت لفترة حتى قالت سيلين بدون خوف:

-"شيخ رضوان! هل يمكن أن نصبح أصدقاء؟!"

****

خلية صغيرة، كرة الثلج، تكبر وتكبر حتى تصنع النسيج الثوري الذي يكمن بداخله الغضب.

أصبحت داساني جاهزة الآن للانفجار.

هكذا نطق دوريان محدثًا دانتي قبيل الثورة بأيام.

أما بالنسبة لدانتي، فقد أصبحت ثقته كلها في سكان داساني.

اعتمد عليهم في أن يقوموا هم بأنفسهم بنزع خرمان كما نزعوا إيجالي من قبل، ولكن تلك المرة سوف يضعون إيجالي آخر على العرش!

وجاء اليوم الموعود الذي لم يُوَلِّهِ لا أونوس ولا خرمان كلها أي اهتمام.

تأجج الغضب، وامتلأت شوارع داساني كلها بالأفواج الزاحفة ثانية نحو القصر!

كان دانتي محاطًا طوال اليوم بصديقيه ميلو ودوريان. لم يغادراه للحظة.

ظل الثلاثة طوال الثماني والأربعين ساعة الماضية يجهزون لما يحدث الآن.

اتجه الناس ثانية نحو القصر.

وأخيرًا، توقفوا. ولكن هذه المرة، لم يظهر لهم في الأفق البعيد شخص اسمه الفارس، بل ظهر شخص آخر. شخص اسمه أونوس.

ظهر أونوس مهددًا متوعدًا جموع الجماهير بالموت العاجل إن لم يغادروا الساحة. تحدث أونوس في البداية عن أحقيته بكرسي السلطان، ثم توعدهم بالموت على أيدي ليس فرسان داساني بعد الآن، ولكن على أيدي جماعة خرمان نفسها.

وهنا دب القلق في قلب دانتي.

وماذا إذا خاف الناس؟ ماذا إذا رجعوا إلى بيوتهم؟

ماذا إذا انتصر أونوس؟ ماذا إذا خَلَا الميدان؟

****

انتقلت سيلين إلى بيت الشيخ رضوان؛ كَرَدٍّ على طلب الصداقة.

ولكن الشيخ رضوان لم يكن ليصادق امرأة قط.

تنهاه تعاليم دينه عن ذلك، ولكنه أدرك في عيني سيلين خوفًا خفيًّا أو سرًّا تكتمه.

كان ماربيل بالطبع قد أعلمه أنها أميرة من داساني.

هكذا كانت تعرف سيلين، وهذا ما قاله ماربيل لها.

ولكن الشيخ رضوان لم يوافق على نقلها إلى بيته الصغير إلا بسبب حب ماربيل لها.

أحس رضوان أنه الوقت المناسب لسحب سيلين من مكانٍ قد يصبح معتركًا لأحداث متتالية قد لا تؤدي إلى الخير.

فهو يعرف كل شيء أكثر من أي شخص آخر، ويعرف أشياء عن سيلين أكثر من سيلين نفسها.

لم يُرِد أن ينكسر قلب ماربيل ويكون هو السبب في ذلك.

فهو مَن بعثها إليه من البداية.

كانت الأعمال أكثر سهولة في بيت رضوان، فهو لم يكلفها إلا بالعناية بزوجته العجوز التي فوجئت سيلين بوجودها.

-"لم أكن أعلم أن لديك زوجة".

"لقد قال لي ماربيل أن.."

ثم سكتت مترددة.

فرد عليها الشيخ رضوان بهدوء يبعث الطمأنينة:

-"إن ماربيل كان محقًّا".

"ليس لديَّ أولاد. سوف تهتمين فقط بزوجتي".

ظلت سيلين مستغربة، ولديها كثيرٌ من الأسئلة.

"هيا! لن أَدْعُوَكِ بالفضولية إن سألتِني".

فابتسمت سيلين، وجلست، ثم قالت:

-"إذن".

"احكِ لي القصة من فضلك".

وضحك الاثنان..

****

وقف أونوس على رأس الناس.

ولكن الجموع لم تحرك ساكنًا.

ظلوا واقفين في الساحة يهتفون بهتافات التنديد بحكم خرمان.

اتهموا أونوس بالخيانة، وطالبوه بترك عرش داساني، وبعد وعيده الأخير، لم يجد الناس بدًّا من الهتاف الأخير والذي كان بعضهم يخشونه؛ لأنهم جربوا حكمه من قبل.

-"تدخل يا دانتي".

-"أونوس ليس سلطاني".

أمهل دانتي نفسه بعض الوقت.

وترك ذلك الوقت يقتل أونوس تعذيبًا وخوفًا، ولكن ما لبث أن أصدر دانتي أوامره لصديقيه بالقبض على أونوس وكل رءوس جماعة خرمان وإعلان الحكم الجديد، سوف يصبح دانتي إيجالي زعيم داساني الجديد.

هتف كل مَنْ في الساحة بحياة دانتي عقب رؤيتهم الحرس يقبضون على أونوس أمام أعينهم، وخرج دانتي إلى الجماهير محييًا في لحظة لن ينساها أبدًا.

لحظة أصبح هو منقذهم الوحيد.

بالنسبة له، لم يكن يومًا سهلًا على الإطلاق. أما بالنسبة لسكان داساني، فلقد كان يوم انقشاع الغمة.

سهر ذلك اليوم جموع شعب داساني في الساحة يهللون ويرقصون وعلى وجوههم ضحك سنين مضت، وهم لا يدركون أن خلف الكواليس يعاني دانتي الأمرين!

****

تمهل الشيخ رضوان، ثم بدأ حديثه قائلًا:

-"زوجتي تُدْعَى أم حنين".

"فيما مضى، كنا نناضل سويًّا من أجل إحلال العدل والسلام في يوتوبيا".

"كنت أنا قائدًا للجيش، وكانت هي تعمل على تمريض المصابين".

"التقينا".

"أحببنا بعضنا بعضًا، ولكن أُصِيبَت هي في يوم بداء عضال، وكادت أن تموت".

"صليت من أجلها، ونقذها الله بمعجزة".

"حقًّا كانت معجزة".

"بعدها تزوجنا، وأنجبنا ابنتنا حنين".

"لم تكن يوتوبيا قد استقرت بعد".

ثم توقف، وتنهد بحزن شديد:

"قام بعض الخونة بقتل.."

"بقتل حنين".

"نحن لم نيأس".

"أكملنا كفاحنا حتى النهاية".

"ولكننا قررنا ألا ننجب أولادًا أبدًا ثانية".

"فالكفاح من أجل الحرية يتطلب كثيرًا من التضحيات".

شهقت سيلين، وردت بلا شعور:

-"يا إلهي".

"ولكن.. حياتك.. سعادتك.. أين؟!!"

قاطعها شيخ رضوان:

-"هيا، انظري من ذلك الشباك".

"انظري إلى مدينتي".

"ألا تستحق التضحية ولو حتى بروحي من أجلها؟"

"انظري إلى أناسها كيف يعيشون في سلام وسعادة".

"كيف أطمع أنا في أكثر من ذلك؟!"

لم تَرُد سيلين، وظلت مندهشة.

"لا تندهشي هكذا".

"أنا أؤمن بالحياة الأخرى، وأنتظر فقط الرحيل عند ربي".

"هناك سوف تكون حياتي وجنتي".

****

ذهب دانتي إلى القصر، دخل إلى حجرة الملك. الحجرة الذهبية.

تأملها وتفحصها وفي قلبه كثير من الأحاسيس التي لا يستطيع أن يميزها.

قطع تفكيره طرق متواصل على الباب، سمح بالدخول، فوجد في وجهه صديقيه مبتسمين ومسرعين نحوه بلهفة.

تعانق الأصدقاء الثلاثة مهنئين.

خلع ميلو قبعته العسكرية، وانحنى أمام دانتي.

-"دانتي إيجالي!"

"قائدي وسلطاني!"

"أنا سأظل تحت طاعتك يا سيدي العظيم".

انفجر دانتي ودوريان ضحكًا على ميلو.

"حقًّا، أنا لا أصدق ما فعلناه".

"ولكننا عملنا من أجل هذا سويًّا".

سأله دوريان بخبث مبتسمًا:

-"هل أنت سعيد يا دانتي؟"

فكر دانتي، ثم أغلق عينيه وفتحهما، وقال بصدق:

-"بداخلي همّ عظيم يا دوريان".

"الأيام القادمة سوف تكون صعبة للغاية".

رد دوريان:

-"ولكننا لن نتركك".

فقال ميلو:

-"لا يتوجب عليك قول ذلك الآن يا دوريان".

"نحن يجب أن نحتفل".

"حقًّا، أود أن أرقص مع شعب داساني في الأسفل".

"هيا يا دوريان".

صرخ فيهما دانتي:

-"توقفا!"

نظرا وراءهما مستغربين.

-"لا يجب على مستشاري السلطان أن يرقصا في الشارع، أليس كذلك؟"

ضحك الاثنان، وجريا عليه ثانية، وانهارا ضحكًا حتى قطعه دانتي:

-"الآن اسمعاني بصدق".

"أنتما مستشاراي منذ تلك اللحظة".

"أنا أوكلكما أمانة".

"أنا أعرف كم يغيّر هذا الكرسي من نفوس البشر؛ فَظَلَّا أنتما عينيَّ".

"لا تتركاني".

"إذا وجدتماني أتغير، فقولا لي على الفور".

"امنعاني".

"بل اقتلاني!"

****

أحست سيلين براحة لم تشعر بها من قبل في منزل الشيخ رضوان، وتقربت جدًّا من أم حنين حتى صارتا مثل صديقتين.

حكت لها سيلين كل شيء، وبصدق.

وفي حديثها هذا.

أدركت سيلين كم كانت مخطئة.

وشرحت لها أم حنين أن دانتي ليس قاتلًا ولم يكن قط خائنًا.

بل دانتي هو قائد عظيم.

قد يقول عنه البعض ذلك.

وقد يكون هو كذلك من وجهة النظر الحقوقية والإنسانية، ولكن مَن كان لديه الخوف نفسه على وطنه، مَن أدرك أبعاد الأمور وخفاياها، سوف يدرك ذلك.

دانتي دائمًا وأبدًا، ظل مخلصًا وقائدًا عظيمًا.

****

رد دانتي عائلة إيجالي إلى قصرها العتيق.

ليس كسلاطين وأميرات، ولكن فقط كعائلته التي لا يمكن أن يتركها تعيش كعامة الشعب، وهو قد أصبح سلطانًا.

وها قد مر الزمان، وأصبح هو وسيلين يعيشان في القصر نفسه.

ولكن على الرغم من ذلك، نادرًا ما كانا يتقابلان، ولكنهما -لا شك- تقابلا.

ولأول مرة بعد مرور عام على فراقهما.

عندما كانت سيلين واقفة تشاهد داساني تلمع تحت ضوء القمر بقصورها ومبانيها الفخمة، وأنوارها المنتشرة في كل مكان.

لم يقطع صمت ليلها سوى دخول دانتي إلى البلكونة.

نبض قلبها بشدة.

أحسته سوف يتوقف.

كان ينبض بالماضي عند لقائه، ولكن اليوم أحسته حقًّا ينبض بجنون.

بجنون رهيب.

-"لقد مر وقت طويل يا ابنة عمي، أليس كذلك؟"

واجهته سيلين بلا أي تردد، ونظرت إلى عينيه:

-"شكرًا لكَ يا دانتي!"

"لقد حققت ما كنا نحلم به في الماضي".

"حققته وحدَك".

تنهد دانتي:

-"أنا أعلم كل شيء".

اضطربت سيلين:

"أنتِ مصدر كل ذلك".

-"هل تقصد أني خرّبت كل شيء؟"

-"بل حاولتِ إصلاح كل شيء".

صمت الاثنان.

ثم سألته سيلين:

-"منذ متى وأنت تعلم؟!"

-"منذ تَوَلِّي قيادة الجيش في عهد خرمان".

"كنتِ تعملين في الخفاء قبيل حكم أونوس بشهور".

"أنتِ غذيت ذلك بالشارع من وراء جميع الشعب".

تنفست سيلين بعمق.

أغمضت عينها.

أصبحتا الآن مليئتين بالدموع.

نزلت بعض الدمعات على وجنتيها.

وأخيرًا، رق دانتي، وأصبح صوته همسًا:

-"لِمَ تبكين؟"

-"أراني فكرت طويلًا في أنني قد خربت كل شيء".

-"لا تحتاجين إلى مزيد من الندم الآن".

"لقد صار ما حلمنا به طويلًا".

"أليس ذلك ما قلتِه قبل قليل؟"

-"هل تعدني يا دانتي أنك سوف تكمل الحلم؟"

"حتى النهاية".

"أريد رؤية مدينتنا عظيمة".

"أريد رؤية العدل يطبق فيها مثل حد السيف".

"أريد رؤية الفقير فيها كريمًا".

"يجب أن نحيا جميعًا كرامًا".

-"عهدًا وأمانة عليَّ يا سيلين".

-"مهما حدث، ومهما جلب الزمان؟"

"بل قولي مهما كانت التضحيات".

****

-"كانت التضحية عظيمة".

"حقًّا عظيمة".

"أستطيع أن أحكي لك عن ذلك اليوم".

أصبحت أم حنين تستمع باهتمام.

"كنا جالسين في الردهة العلوية".

"أنا، وأبي، ودامار، وأخيرًا، دانتي".

"كنا نتناقش في أمور داساني، عندما قطع دامار ذلك بالحديث عن زواجي".

"كنت سأتزوج من ابن الفارس".

"كان أبي يعدّ لذلك مع الفارس منذ سنوات طويلة، وربما لذلك حتى أبعد دانتي".

"تحدثا طويلًا".

"لم يكن أحد يتحدث سوى أبي ودامار، بينما خرسنا نحن" "أنا ودانتي".

"أنا كنت أنتظر رد فعله الذي سوف يعني كثيرًا".

"وهو ظل فقط مراقبًا".

"ولكنه لاحقًا، بدا وكأنه كان قد اتخذ قراره من قبل".

"وذلك عندما سأله دامار".

"ماذا تظن أنت يا دانتي؟"

"فنطق دانتي أخيرًا، وكسر قلبي إلى الأبد".

"نطق بعدما اصطنع أنه يفكر ثم قال.."

"أنا أجدها فكرة عظيمة، وَلِمَ لا؟"

ثم قام، وانصرف بعدها، وبلا أية كلمة.

يومها، أحسست أني أريد أن أنفجر باكية، ولكن، كيف أفعل ذلك والكل محيط بي؟ ولكني أدركت يومها أن دانتي قد تغير.

الحكم قد غيَّره، وربما هو ينتقم منا.

لم أعد أدرك شيئًا.

ولكن ظلت تتردد في رأسي جملة واحدة.

إن دانتي قد تخلّى عني.... إن دانتي قد تخلّى عني للأبد.

****

كان اليوم يبدو سيئًا بالنسبة لسيلين.

لم تقدر قط أن تتجاوز ما حدث. أما بالنسبة لدانتي، فلقد كان يبدو وكأنه منشغلٌ طوال الوقت بأمور أخرى.

مما كان يفطر قلب سيلين أكثر وأكثر.

فقررت بعدها أنها لن تبقى في ذلك القصر ثانية، فلقد صارت تكرهه لمجرد أن دانتي مقيم معها فيه، حتى ولو كانت حجرته بالنسبة لحجرتها مثل الأقصى والأدنى.

كان دانتي طوال الوقت محاطًا بالحراس.

لا يتركونه ولو للحظة.

كانت سيلين تعرف ذلك.

ولذلك أيضًا، أدركت أنه لن يعرف حتى إن غادرت الآن.

لملمت سيلين أشياءها بسرعة، فهي بالكاد كانت قد رتبتها.

مَشَتْ في الأروقة دون أن تتفوه بكلمة لأحد.

فقط نظر إليها أحد الحراس بتمعن، ثم انطلق مسرعًا.

وعندما وصلت سيلين للباب، وجدت دانتي أمامها مباشرة.

وقال لها بصرامة شديدة:

-"إلى أين أنتِ ذاهبة؟!"

-"هذا لا يخصك في شيء".

- "بل يخصني".

"كل العائلة أصبحت في خطر بسببي ولذلك.."

-"توقف عن ذلك!"

"أنت لم تفعل شيئًا وحدك. فلا تأخذ الآن.."

-"انتظري.. انتظري!"

ثم نظر حوله، فوجد حارسين قريبين. وقد يكونان قد سمعاهما للتو وهي توبخه، فجذبها دانتي من ذراعها بشدة.

وتوجها نحو غرفة الحراس.

-"دانتي! توقف! أنت تؤلمني".

ولكنه لم يتركها حتى دخلا الحجرة وأخرج منها حارسًا كان يستريح على الأريكة، وأغلق خلفه الباب.

-"أأنت مجنون أم ماذا؟!"

"لِمَ تجرُّني خلفك هكذا؟"

-"لأنك عنيدة، ولا تنصاعين لأحد".

-"ولِمَ عليَّ أن أفعل ذلك؟"

-"لأني أدرك أشياء أكثر مما تفعلين أنتِ".

-"بربك؟!"

-"اذهبي إلى حجرتك الآن".

-"صرتَ تصدر الأوامر منذ أن أصبحت سلطانًا على ما يبدو".

-"نعم، صرت سلطانًا، وستذهبين إلى حجرتك الآن".

-"لا، لن أفعل".

استشاط دانتي غضبًا، ثم صرخ فيها:

-"سيلين! ورائي هموم الدنيا لأهتم بها".

"لا أنقصك".

"فقط، اذهبي".

-"لا تصرخ فيَّ يا دانتي".

"أنت لم تفعل ذلك وحدك، وأنت تعلم ذلك".

"لقد أصبحت سلطانًا بمساعدة شعب داساني".

"لولا نزول الناس ذلك اليوم، لما أصبحت أنت هنا وأنت تعلم. أنت.."

ثم سكتت.

-"نعم!"

"أعلم بما فعلتِهِ أنتِ قبيل سقوط روحان وأونوس أيضًا".

"ولكنكِ لن تغادري القصر".

-"سوف أغادر يا دانتي".

"لا تستطيع أن تفعل شيئًا".

-"إذن..".

"فسوف أستخدم معك ورقتي الأخيرة".

"أنتِ هنا في حالة اعتقال.. حبس. سمِّها ما شئتِ، وبأمر شخصي مني أنا، ولن تتحركي بعد اليوم إلا ومعك حارسان شخصيان من الحرس التابع لي".

"ولن تطأ قدماكِ أرض داساني إلا بأمر مني أنا".

"والآن، إلى غرفتك من فضلك قبل أن تُؤخَذِي إلى هناك عنوة".

لم تصدق سيلين ما سمعت، وظلت فقط محملقة في عيني دانتي، تحاول أن تقرأ شيئًا، ولكن لم تستطع أن تفكر في شيء سوى أنها صفعته.

ساد صمت وذهول لفترة.

أحست سيلين أن دانتي سوف يفتك بها للتو.

فهي تعلم كم كرامة دانتي غالية عليه. ولكن على ما يبدو، فقد استخدم مهاراته التي تعلمها في الجيش.. مهارات ضبط النفس.

بادرت سيلين مسرعة، ونادته وهو مغادر إلى الغرفة.

-"دانتي! توقف أنا آسفة".

رفع رأسه، وأخذ شهيقًا من أعماق قلبه، ثم فتح باب الغرفة:

-"ارينو! ارينو! أقدم هنا، تعالَ!"

أسرع ارينو بعدما تبين الغضب على وجه سيده.

-"رافق الأميرة حتى باب حجرتها من فضلك".

مشت سيلين خلف ارينو وهي كاتمة عاصفة من البكاء، ما كادت أن أطاحت بكل شيء عند دخولها حجرتها.

لقد ضاع دانتي للأبد!

****

وضعت سيلين وشاحًا أزرق على رأسها، وسارت خلف الشيخ رضوان، وهما يتأملان يوتوبيا.

-"هل تعلمين يا سيلين أن التفكر عليه حسنات أيضًا؟"

ضحكت سيلين، ثم قالت:

-"أنتم تأخذون حسنات على كل شيء".

ضحك رضوان بدوره بسماحة روح، ثم قال:

-"إذا مشي المؤمن، وشُكَّ في قدمه بدبوس، يُغفَر ذنبه".

"إن الله ليس هناك مَنْ أرحم على عبيده منه".

ثم مشيا قليلًا حتى دخلا مسجدًا.

كان المسجد واسعًا، ذو أعمدة كثيرة، تتخلله ساحة واسعة في المنتصف، فيها نافورة صغيرة، وحولها كثيرٌ من اليمامات.

وكان السقف منقوشًا عليه:

محمد.. رسول الله.. رحمة العالمين.

وتحتها مكتوب أربعة أسماء:

عمر.. أبو بكر.. علي.. عثمان.

-"مَن هؤلاء؟!"

-"هؤلاء مَن ناصروا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وقت دعوته".

"كثرت عليه الشدائد حينئذ، ولكن الله رزقه بخير صحبة هَوَّنَتْ عليه الطريق".

-"ولِمَ تقولون إن محمدًا جاء رحمة؟"

أحست بانقباض قليل في وجه شيخ رضوان.

"أنا آسفة".

-"لا، أرجوكِ أن تكملي سؤالكِ، ولكن ملاحظة صغيرة".

"يجب أن تحترمي معتقدات غيرك، وحتى لو كانت مخالفة لما تؤمنين به، هكذا تعلمنا!"

-"معك حق".

-"الآن اكملي سؤالك".

-"ما قرأته سابقًا، وما عرفته أن نبيكم جاء معلنًا الحرب. لقد صنع الحرب".

-"هذا أكثر ما يروّج عنه به مِن أعداء الإسلام".

"أنا لا أحب نظرية تخوين غيرك، ولكنهم حقًّا أفّاقون"

"رسولنا جاء للأمة العربية بالأساس رحمةً لها".

"أنقذهم من عقود من الجهل والتخلف".

"عقود ظلوا فيها يعبدون أوثانًا لا قيمة لها".

"يحقرون المرأة، ويدفنونها حية، ويقتلون الرجال والولدان بدون أي ذنب".

"يهدمون المدن فوق أصحابها".

"فنهى عن ذلك".

"نهانا عن ذلك بأمر ربنا".

"قال: لا تقطع شجرة، ولا تقتل عجوزًا، ولا أمرأة، ولا طفلًا".

"تلك كانت أخلاق الحرب. فكيف لِرَجُلٍ مثل هذا أن يكون قد أتى للحرب".

ترددت سيلين:

-"ربما أكون مخطئة".

-"اقرئي. اقرئي يا ابنتي".

"نحن نحترم ونحب جميع الناس".

"نحن نؤمن بموسى، والكتاب الذي أنزل معه".

-"التوراة".

-"نعم، ونؤمن بنبي الله عيسى، وكتابه أيضًا".

"الإنجيل، كتاب حق ونور".

"ولكن، جاء القرآن لينسخ جميع آياته ليعلن ربنا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل، والكتاب الذي جاء معه ينسخ كل ما قبله ليوم الدين".

"القانون، والشرع، والمنهاج حتى يوم الدين".

****

لم تلبث أن مرت بضع أيام، حتى انقلبت داساني رأسًا على عقب.

بسبب دانتي.

عندما لم تهدأ جماعات خرمان بعد عزل زعيمها وصاروا يثيرون كثيرًا من القلق، أحس دانتي أن ما يفعلونه، يهدد أمن داساني ووافقه على ذلك صديقاه.

أمر دانتي بالمجزرة.

أمر دانتي بقتل كل رءوس الفتنة، ومن يناوئها.

مشى جيش داساني في الشوارع، وقتل كل مَن يرفع شعار جماعة خرمان. قتلهم جميعًا.

تم إحصاؤهم فيما بعد. لقد قاربوا الألفين.

كانت تلك صدمة لكل عشاق دانتي؛ فانفض بعضهم من حوله، بينما أيَّدَه بعضهم أكثر وأكثر!

بالنسبة لسيلين، فقد ظلت مذهولة لأيام، بل لأسابيع لا تدرك كيف فعل دانتي ذلك. أحست نفسها ضائعة، ولكنها أدركت شيئًا واحدًا، وتأكدت منه، هذا الدانتي ليس هو الذي أحبته منذ سنوات. لقد صار شخصًا آخر.

لقد قتل ألفين من سكان داساني.

نعم، إنهم خرمان، ولكنهم في الأخير من سكان داساني.

تشبعت شوارع داساني بالدماء.

بكت السماء لهول الفجيعة، ولم يدرك أحد لِمَ تبكي السماء.

بكت السماء لبكاء فارس وحيدًا في غرفة مهجورة في دير في سفح جبل مجهول.

كان يتوسل لربه أن يهديه لما هو أقرب رشدًا.

أحس نفسه وحيدًا.

أحس أنه يقاتل العالم كله بلا أي شك.

ولكنه كان لا ينطق إلا بجملة واحدة.

هذا من أجل داساني.

من أجل داساني وحدها.

****

-"إذن".

"شريعة الإسلام هي قانون يوتوبيا".

سألت سيلين السيدة أم حنين بلهفة:

"وماذا عن أصحاب الأديان الأخرى؟"

-"انظري يا سيلين".

"عند إنشاء دولتنا الحديثة، فكرنا في تلك النقطة كثيرًا".

"ورأينا أنَّ أَعْدَلَ ما يكون هو أن يخضعوا لقوانينا نفسها فيما يتعلق بالأحكام عليهم، أما ما دون ذلك من قوانين شخصية تخص الزواج وغيره، فلهم قوانينهم الخاصة بالطبع".

-"هل يرتضي جميع الناس ذلك؟"

-"لقد تشبعت أراضينا بدماء ذكية حتى نصل إلى ذلك"

ساد السكون لفترة، وكأن كلتا المرأتين تفكران بما قالاتاه للتو.

قطعته سيلين:

-"سيدة أم حنين! هل كان دانتي محقًّا فيما فعله؟!"

"لقد قتل حقًّا أناسًا كثيرين".

دمعت عينا أم حنين، ثم تنهَّدت هي، وقالت:

-"لا تقسي على الفتى أكثر من ذلك".

فوجئت سيلين بذلك، وبادرت بالقول:

-"أنا؟!"

-"لقد كان ينتظر..."

ثم سكتت المرأة، ولامت نفسها.

-"انظري يا سيلين".

"انظري إلى يوتوبيا جيدًا".

"هي نعم مدينة عدل وحرية، ولكن في الماضي لم تكن كذلك".

"لقد مررنا بأحداث تشبه ما يحدث في بلادك".

تمهلت قليلًا، ثم أكملت:

"دانتي لم يكن مخطئًا".

"هل تعرفين ماذا كان سيحدث إذا تركهم فقط لأيام؟"

"فقط لأيام".

هزت سيلين رأسها ثانية.

"كانت ستتدمَّر مدينتك بالكامل".

ضحكت سيلين.

-"وأَلَمْ تَتدمر مدينتي بالكامل؟!"

ضحكت أم حنين، ثم أشارت بإصبعها نحو السماء...

****

كان القصر صاخبًا تلك الليلة.

كانت ذكرى انتصار جيش داساني في إحدى معاركه منذ حوالي ثلاثين عامًا.

دُعِيَ كل من اعتبروه ولو جماعة من سكان داساني بطلًا يومًا.

كان هناك روحان.. دامار.. الفارس.

حضر جميع الناس.

حضر دانتي.. حضرت سيلين.

تلاعبت أصابع العازفين، وأخرجت أحلى الألحان.

تشكلت دوائر الحديث.

وكان دانتي هو محور الحديث في كل دائرة.

دانتي العظيم.

الفارس الحقيقي.

يا له من رجل شجاع لا مثيل له!

لا، بل يشبه أحد قادتنا الذين عشقناهم منذ سنين.

جده.

الإيجالي العظيم الذي أسس مملكتنا.

إنه يشبه جده بلا شك.

هذا ما سمعته سيلين طوال سيرها وسط الجموع.

سارت، حتى استقر بها السير في دائرة مع روحان ودامار، حتى شعرت أن قلبها يخفق بشدة، احمرت وجنتاها.

واندفعت الدماء إلى رأسها، فأدرك عقلها أن دانتي يقترب.

فما كان من عقلها إلا أن قرر أن ينقذ قلبها من ذلك الموت البطيء. فأمرها بالابتعاد على الفور.

تلاقت عيناهما.

لم يكن فيهما سوى نظرات حزن وعتاب.

أتى دانتي مبتسمًا.

ولكن غادرت سيلين على الفور.

مشت باتجاه طاولة الطعام.

هدأت قليلًا حتى هبت عاصفة على قلبها مرة أخرى، ولكن أخف من السابقة.

اقترب دانتي من المائدة، ووقف قربها.

-"كيف حالك يا ابنة عمي؟"

-"بخير. حبيسة القصر، ولكني بخير".

-"أنا سعيد أنكِ بخير".

-"وسوف تكون أكثر سعادة، عندما تعلم أني سأتزوج!"

وأسرعت سيلين، واستدارت.

نظرت إلى عينيه.

وجدتهما قلقتين.

أحست بأنفاسه تتسارع.

ابتسمت سيلين ابتسامة الانتصار.

ثم مشت بعيدًا.

ضرب دانتي المائدة بيده، ثم قال:

-"أيتها الماكرة!"

"لقد نالت مني".

ثم ابتسم هو الآخر، ولكن لم يلبث أن سمع صرخات.

صرخات عالية.

ثم وجد أنه قد أُحِيطَ بالحراس من كل جانب.

صرخ فيهم دانتي.

-"ماذا يحدث؟!"

لم يجبه أحد.

فالحراس كلهم مشغولون بتأمينه.

"قولوا لي ماذا يحدث؟!"

فأجابه أحدهم وهو يخرج أسلحته، ويتأهب للقتال:

-"إن جماعة خرمان تقوم الآن باقتحام القصر يا سيدي".

"يقسمون إنهم سوف يذبحون إيجالي كلها".

ثم جرى الحارس، واتخذ موقعه، وشَكَّلُوا دائرة واسعة.

دائرة يصعب اختراقها.

دائرة مركزها الإيجالي العظيم نفسه الذي ما لبث أن اخترق الدائرة وسط ذهول كل الحراس، وقفز خارجًا إلى الردهة الرئيسية، وفي عقله يتردد اسم واحد.. سيلين.. سيلين.

****

أنهت سيلين حديثها تلك الليلة.

مشت قليلًا في أروقة القصر حتى خرجت إلى الحديقة.

كان الظلام دامسًا، ولكن لا يهابه قلبها، فعلى ما يبدو أن ظلامه كان أكبر.

وجدت عصفورًا صغيرًا يقف على إحدى الأزهار.

اقتربت منه أكثر فأكثر، حتى مسكته بين كفيها.

ذكَّرها ذلك باليمامة، الشرفة، دانتي.

شعرت بالدموع تخنقها، بل تقتلها.

ولكنها لم تطلق لها حريتها والعنان.

بل حبستها أكثر وأكثر، حتى وجدت أن كل ما حولها صار يذكِّرها بالماضي.

شجرات الحديقة، العصفور الذي في يدها، الأزهار، الهواء البارد، أحست أن أخطاءها تلاحقها.

صارت حياتها تمر أمام عينيها.

مربعات صغيرة في شريط طويل، أو ومضات من ماضٍ سحيق.

ومضات من طفلين يلعبان معًا في أروقة قصر مهيب.

ثم في حديقة خالية، وقد كبرا قليلًا.

ثم كثيرٌ من التخلي.

التخلي، والحزن، والعتاب، والكراهية.

هل كانت حقًّا كراهية؟

ثارت الريح مع اهتياج مشاعرها، وكأنها تُآزرها.

أطاحت الرياح بوشاحها.

وصارت تطيّر شعرها في كل اتجاه.

لم تأبه سيلين بذلك.

لم تفق من نوبتها إلا على الثلج يتساقط فوق رأسها.

لقد ظل يتساقط عليها قرابة خمس عشرة دقيقة، وهي كأنها لا تحس.

أُمِلت أن يطفئ نارها، ولكن لا يستطيع شيء أن يفعل ذلك في تلك الليلة. إنها النهاية.

انطلقت سيلين، جرت بكل سرعتها إلى غرفتها، أغلقت خلفها الباب، جثت على ركبتيها، وانهارت في بكاء شديد.

ووسط كثير مما كانت تصرخ به بداخلها، وتهمس به للخارج.

سامحني يا دانتي!

لقد اشتركْتُ في عذابك.

قام كل الناس بظلمك بداية من أبي حتى جماعة خرمان.

كلنا جنينا عليك حتى قتلناك.

لم يكن باقٍ لداساني غيرك، وقد قضينا جميعًا عليك.

أنا مجرمة.

لقد تخليت عنك.

تركتك، وظللت أتهمك أنك أنت الذي تخليت عني.

لقد قلت لي يومًا أن كل ما ستفعله لاحقًا، سوف يكون من أجل داساني، ومن أجلي.

ولكني نسيت.

لقد نسيت.

ودخلت ثانية في نوبة بكاء لا انقطاع لها، حتى أحست بألم يعتصر قلبها، أحست بشراييها تضيق حتى الموت. جرت إلى الشباك، حاولت أن تأخذ بضعة أنفاس، حتى هبت الريح بشدة، جعلته ينفتح على مصراعيه. ثم انكسر زجاجه. سقط على سيلين بالكامل،أحست بألم فظيع في قدمها، حاولت أن تبتعد عن الزجاج، مشت ولم تقدر أن تصل إلى السرير.

وقعت على الأرض.

نظرت إلى مصدر ألمها، فوجدت قطعة زجاج كبيرة وحادة قد اخترقت فخذها، والدماء تملأ أرضية الردهة.

لم تقدر على الصراخ؛ لأن ضربات قلبها صارت غير منتظمة.

فمع الانفعال وفقدان الدماء والصدمة، تسارعت ضربات قلبها بشدة.

أحست نفسها تختنق، وأن قلبها لا يقدر على النبض.

حاولت الاستغاثة، ولكن لم يطلع صوتها.

فاستسلمت.

استسلمت.

فهي ذاهبة –على ما يبدو بعد قليل– إلى مَن تحب.

سوف تقابله أخيرًا...

****

الساعة قاربت الآن الرابعة فجرًا.

كانت ليلة هادئة مثل كل ليلة.

قضاها العجوزان في الحديث واسترجاع ذكريات الماضي مثل كل ليلة.

كيف ناضلا سويًّا؟

كيف انتصرا سويًّا، ثم سُجِنَا سويًّا أيضًا؟

تلاه انتصار وبناء.

وبناء. سنون من البناء.

ظلا يتحدثان، حتى غلبهما النعاس.

أفاق الشيخ رضوان حوالي الرابعة والنصف.

وبمجرد أن فتح عينيه، أذّن المؤذن للفجر.

فذهب، وتوضأ، ثم رجع إلى الغرفة، وأيقظ زوجته:

-"أم حنين.. أم حنين!"

لم تَرُد المرأة.

-"يا زينب.. هيا، استيقظي".

فتحت عينيها أخيرًا.

"ألا تستيقظين كل يوم إلا بعد أن أناديكِ زينب؟"

ضحكت، وقالت:

-"بل أم حنين يا عجوز".

وضحك الاثنان.

قامت أم حنين، توضأت، وبدأ الاثنان يصليان سويًّا.

أنهيا الصلاة، سَلَّمَا، ثم بدآ الدعاء.

رفع كل منهما يده إلى السماء، وبدأ يتمتم ببعض الكلمات، حتى أفزعهما طرق شديد على الباب.

فزعت أم حنين، وجرت تجاه الباب، حتى صرخ فيها رضوان:

-"تمهّلي يا زينب". "تمهلي". "انتظري هنا".

ومشى رضوان ببطء، والطرق يزداد شدة.

نزل إلى الدور السفلي، فتح الباب، وفوجئ بماربيل.

بادر الشيخ قائلًا:

-"ماذا بك يا ماربيل؟!"

كان ماربيل يتنفس بشدة، وكأنه قَدِمَ إلى بيت الشيخ رضوان جريًا على الأقدام.

-"أمي.. إن أمي تخبرك أن.."

ولم يستطع أن يكمل.

-"اهدأ.. ادخل أولًا".

-"لا وقت. اذهب، اطمئن على سيلين".

قطَّب رضوان حاجبيه، وسأله:

-"ماذا؟!"

-"أرجوك الآن. أمي تقول إنها في خطر".

كانت أم حنين تقف عند أول السلم، فبمجرد أن سمعت اسم سيلين، طرقت على باب الغرفة طرقتين.

فلم تسمع أي صوت، ففتحت الباب.

فزعت، شهقت، ثم أطلقت صرخة مدوية.

****

جلس الشيخ رضوان، بجانبه أم حنين، وبجانبه ماربيل.

الثلاثة وَجِلُون، لا ينطقون شيئًا.

حتى أتى أحد الحراس، فبادر رضوان، ووقف وخلفه ماربيل، واقتربا من الحارس.

-"ماذا وجدت يا نوح؟!"

-"على ما يبدو أن الزجاج قد كُسِر بفعل ارتطامه بالحائط وأصاب قدمها".

"الريح كانت قوية جدًّا الليلة الفائتة".

تنهد الشيخ رضوان مهمومًا، ولكنه التفت مسرعًا على إثر نداء زوجته.

لقد خرج الطبيب لتوه من الغرفة.

بادره رضوان:

-"استمع إليَّ أيها الطبيب".

"تلك الفتاة أمانة".

"أمانة عندي".

"لا ينبغي أن يصيبها مكروه".

"يا إلهي".

وأمسك رأسه متألمًا، ثم نظر بعد أن هدأ إلى الطبيب، وأعطى نفسه الفرصة لكي يتجاوز ذلك، حتى استجمع قواه لسماع الكوارث التالية:

-"قل لي كيف هي؟!"

-"حقيقةً لا أعرف ماذا أقول".

"إن الزجاج قد أصابها في قدمها إصابة شديدة".

"بالإضافة إلى أن حرارتها مرتفعة للغاية".

"يبدو أنها قد أُصِيبَتْ بعدوى ما، إلى جانب فقدانها كثيرًا من الدماء ولكن.."

"آمل خيرًا شيخ رضوان".

نظر الطبيب إلى عيونهم جميعًا، ولم يَرَ غير كثيرٍ من الدموع، فاستأذن وغادر.

****

مرت الساعات الأولى عصيبة.

جرت عملية، وتمت إزالة الزجاجة، وتعويض الدماء المفقودة، ولكن بقيت حرارتها المرتفعة والتي قام الأطباء بتفسيرها بعد قليل.

فهي كانت بسبب إصابتها بالتهاب رئوي حاد.

لقد دمرها البرد، الريح، الثلج، وأخيرًا، جرحها.

كانت قبل إغمائها في أقصى حالات بأسها، وذلك لن يساعد كثيرًا في الشفاء.

فمريض يرغب في الموت، صعب أن يصنع معه الأطباء معجزة.

فالمعجزة تحدث فقط لمن يسعى إليها.

أحسّت سيلين نفسها بعيدة بأميال، كانت تسمع أصواتًا تهمس من حولها.

ولكن كأنها تأتي من أعماق بئر أو شيء هكذا.

كانت تترك صدى ... أصوات فقط.

أصوات لا يستطيع عقلها أن يترجمها، ولكن قلبها استطاع أن يتعرف إليها.

إنهم أشخاص أحبوها.

رافقتها تلك الليلة أم حنين.

جلست بقربها، ورفضت أن تتركها لحظة، ولا حتى لخادمة مقربة أو ممرضة ماهرة.

فقط هي..

جلس معها شيخ رضوان، وصار الاثنان يتهامسان بحزن شديد.

قالت أم حنين، وقد سقطت بعض الدمعات على وجنتيها:

-"لقد قاربْتُ على اعتبارها ابنتي".

صمت رضوان فترة، ثم تنهد بحزن:

-"قبل أن تأتي، أحسست في قلبي بأن الله سوف يعوضني عن حنين".

"لقد آمنت بذلك في أعماقي".

"ثقتي في الله جعلتني أؤمن أنه لن يتركني أموت قبل أن أحس بشعور أب ابنته قد كبرت، وتتحرك أمام عينيه، بالفعل، لم يحرمني من ذلك".

"لقد كانت فرحتي شديدة عندما طلبت أن تأتي إلى بيتنا".

"هل رأيتِ كم أحبتنا تلك الفتاة؟!"

هزت أم حنين رأسها موافقة بشدة.

ثم سكت الاثنان، حتى همس رضوان، وكأنه لا يريد أحدًا أن يسمع:

-"هل تعتقدين أننا كان يجب أن نخبرها الحقيقة؟"

-"لا أعلم".

-"لقد أرسلت في إحضاره".

-"سوف تتهم بخيانة الأمانة يا رضوان".

-"قلبي حدثني أن هذا ما يتوجب عليَّ فعله الآن".

"لقد حدثني الطبيب أنها مستسلمة للغاية".

"لا تريد الرجوع إلى الحياة".

-"لقد كانت تحدثني عنه طوال الأيام الماضية".

"لقد كبر الأمر عليها، ولم يتحمله قلبها".

"إنها رقيقة للغاية، ولم تتحمل لوم قلبها لها على ما فعلته".

"لقد كانت نيتها حسنة".

"لم تكن لتستوعب ذلك، ولو بعد عشر سنوات".

"إن ذلك لا يدركه إلا متمرس في القيادة".

سمع العجوزان صوتًا في الطريق.

إنه الطبيب، وقد أتت معه درة للاطمئنان على سيلين.

اقترب الاثنان، وتفحصا سيلين.

نبضها، حرارتها.

أخذ الاثنان يتهامسان معًا، ويتحدثان بمصطلحاتٍ عجز رضوان عن فهمها؛ لأن الصوت كان منخفضًا.

فوجد أنه لابد من التدخل.

قام من مقعده، واقترب منهما.

-ماذا بها أيها الطبيبان؟!"

ردت درة:

-"لا شيء شيخ رضوان. حقًّا.."

"إن حرارتها هي فقط التي لا تهدأ".

"سوف نزيد لها جرعة المضاد".

"سوف تُشْفَى. لا تقلق".

أجاب رضوان متألمًا:

-"أنا أحس أنها.."

وقطع صوته، سيلين.

لقد نطقت كلمة.

قطع كلامهما سيلين تنطق كلمة لم يسمعاها أول مرة.

سكتوا جميعًا، وصارت الغرفة هادئة، حتى نطقت ثانية:

-"دانتي".

اقتربت درة من رضوان، وهمست له:

-"هل طلبت إحضاره، شيخ رضوان؟"

-"نعم، سوف يصل عما قريب، إن شاء الله".

-"لا تقلق".

"سوف تُشْفَى".

"سيلين لا يجب أن تموت".

"سوف تُشْفَى بإذن الله".

تلك الليلة، لم يبقَ في الغرفة سوى سيلين، وبقي لتمريضها طوال الليل درة.

غادر رضوان، وغادرت أم حنين.

تركاها في يدٍ أمينة.

في يد مَنْ يحب دانتي كثيرًا!

****

في طريق عودته إلى المنزل، طرق رضوان باب ماربيل.

استضافه ماربيل لفترة، تكلما عن خطة جلب مجموعة حراس؛ لتأمين زائر مهم إلى المدينة، وطلب الاطمئنان على السيدة غالية، فقاده ماربيل إلى غرفتها.

-"هل تتركنا وحدنا قليلًا، ماربيل!"

ضحك ماربيل، ثم قال:

-"نعم".

"أنا لا أخاف من شيخين عجوزين".

ضحك رضوان، وأيضًا غالية.

خرج، وترك باب الغرفة مفتوحًا كما تقتضي تقاليد يوتوبيا.

مشى ماربيل في الرواق.

ولكنه سمع بضعة كلمات اجتذبته للرجوع.

رجع إلى الخلف أكثر وأكثر، حتى استقر إلى جانب الباب المفتوح مباشرةً؛ حتى يسمع بوضوح أكثر.

"ألم أنهِكِ يا غالية عن التنجيم؟!"

-"لقد أنقذت حياتها".

-"ولكني أمرتك بالامتناع عن استدراك المستقبل لأحد".

"أنتِ لم تحترمي قوانين وضعناها ورضيتِ بها من قبل".

"لقد خالفت قانون يوتوبيا بالرغم من كل شيء".

-"ولكني أعلم أن هناك روح القانون".

"أم نسيت يا رضوان؟"

تنهد رضوان، ولم يرد.

"أنت تستطيع أن تمنعني من أن أكون عرافة، ولكن لا تستطيع أن تمنع أحلامي من أن تجيء إليَّ في منامي".

نظر إليها مستغربًا.

"نعم، لقد حلمت بالفتاة".

"كان حولها كثيرٌ من الظلام".

"كانت حزينة للغاية".

"رأيتها في خطر".

"أنا لم أعد أستخدم السحر يا رضوان".

"لا تقلق".

فكر رضوان لفترة، ثم قال:

-"أتأسف يا غالية".

-"لا عليك".

"ولكن لا تَنْسَ ما قلته لك".

"روح القانون..".

سكت الاثنان، فقام رضوان.

-"اجلس يا رضوان!"

"ما زال لديَّ حديث".

جلس رضوان، ونظر إليها.

"ماربيل".

"إنه يحب الفتاة".

-"الفتاة لدانتي، وبما أنك غالية الساحرة، فأنت تعرفين ذلك بلا شك".

-"إنها تموت يا رضوان".

انقبض قلب رضوان، واصفر لونه، ثم تنهد، وقال:

-"حينها سوف يكون قضاء الله".

-"لم يكن عليك جلبها إلى هنا".

"سوف يتألم ماربيل كثيرًا".

-"كنت أصنع ما أوصاني به هو نفسه".

"ولكن الفتاة هربت مما أعده لها، وجاءت عندي".

"لم أستطع فعل شيء".

-"يا له من قاسٍ".

-"بل يحبها بشدة، ولذلك أرادها لماربيل".

"أنتِ تعلمين كم هما صديقان حميمان".

"لم يستطع أن يأتمن أحد عليها مثل ماربيل".

-"هل تعلم أن الفتى مجنون".

"حقًّا مجنون".

ضحك رضوان بحزن، وقال:

-"أوافقك الرأي".

****

جلست درة بعد أن علقت المحلول الموصل إلى ذراع سيلين وزجاجة الدواء الخافض للحرارة، ثم أخذت تتأملها.

وجدتها تحاول أن تنطق باسم دانتي ثانية، ولكن لا تقدر على ذلك.

أغمضت عينيها.

تسارعت نبضات قلبها، وأخذت تتذكر.

غريب أتى إلى يوتوبيا.

تلاقيا في الشارع، ثم في بيت ماربيل.

صارت المشاهد تتداخل في عقلها.

عندما التقت عيناهما، هرب بهما دانتي، ولم تستطع أن تفسر ذلك.

كانت تظن أن ذلك بداية عشق بينهما.

فلقد أعجبها فتى الجيش.

حفيد إيجالي، القادم من بلاد النعمة.

تذكرت أول حديث بينهما، عندما عرفهما ماربيل، ثم رحل مسرعًا.

-"مرحبًا دانتي. لِمَ أنت هنا؟"

-"جئت لأتعلم دروسًا".

-"دروس؟!"

قالتها، وقد قطبت حاجبيها مستغربة.

"دروس عن ماذا؟!"

ضحك دانتي، ولم يرد.

"تبدو خطيرة جدًّا".

وضحك الاثنان.

ثم عندما كان يمرح دانتي وماريل سويًّا في إحدى ساحات يوتوبيا، ويلعبان عندما جاءت إحدى العربات التي لم يُصرَّح لها بدخول الساحة، جاءت فجأة، وكادت أن تدهس الفتيان، لولا العناية الإلهية، ولكنهما أُصِيبا بشدة في ذلك اليوم.

فنُقِل إلى المشفى العام.

وكانت درة هناك ثانية.

لا تنسى ذلك اليوم.

عندما وُضِعَ دانتي بين يديها؛ لتنقذ حياته.

كانت مستعدة يومها لبذل كل ما تعلمته في سبيل إنقاذه.

أخذت تضمد جراحه، وفي الوقت نفسه تقيمها.

حتى اطمأنت، ابتسمت.

وبينما كان يقوم الممرضان بذلك عنها، وقعت ساعة من جيبه، كانت تبدو مثل ساعة ذهبية مغلقة.

اقتربت درة، وأخذتها من الأرض، فتحتها، وجدت بداخلها صورة فتاة.

عرفت للتو، إنها بالتأكيد حبيبته.

لم يَخَف دانتي قط، ولم يحسب حسابًا لأن يموت يومًا، ويعثر أحد على الساعة، ويعرف السر المُخبَّأ منذ سنين.

فماذا سوف يقول الناس؟

إن دانتي يحب سيلين.

فبالنسبة له.

يا له من تخليد!

****

رجعت درة مرة أخرى على صوت سيلين، كانت تتفوه بكلمات غير مفهومة، وذُهِلَت عندما وجدت نفسها كانت تبكي، ولم تحس بذلك.

قامت على الفور، فقد حان وقت الدواء.

أخذت أمبولًا كان على منضدة بجانب السرير.

أدخلت سن السرنجة في غطائه المطاطي.

أخذت تسحب الدواء، ثم بدأت تحقنه ببطء في المحول المعلق، ثم فوجئت بشيء يلمس يدها، ففزعت، ثم هدأت عندما وجدتها سيلين قد فاقت قليلًا، عينها نصف مغمضة.

فرحت درة، وقالت لها:

-"مرحبًا بكِ! حمدًا لله على سلامتك!"

ولكن لم تلبث أن تكمل جملتها، حتى غرقت سيلين مرة أخرى في سبات عميق.

****

كان رضوان في منزله، وماربيل كان جالسًا معه.

-"هل هذا كل ما قالوه؟!"

-"نعم يا شيخنا. أنا خائف".

-"يا ماربيل إنه شيء يدعو للتفاؤل".

"إنه علامة جيدة".

ثم سمع طرقًا على الباب، سمع طرقًا متتاليًا.

أسرع الخادم، وفتح الباب، فدخل أحد الحرس متقدمًا، ودخل خلفه ضيف غالٍ.

لم يلبث ماربيل أن نظر، حتى قفز من مكانه، وكأنه عاد ولدًا طائشًا، واندفع نحوه.

عانقه بشدة، ثم جذبه من ذراعه نحو الداخل حيث وجد الشيخ رضوان.

لكن لم تكن مقابلة الضيف للشيخ رضوان المثل، بل وقف الضيف ينظر إلى وجه رضوان لفترة، حتى لمح الدموع في عيني الشيخ العجوز، فاندفع إلى أحضانه.

أحاطه الشيخ بذراعيه، حتى اختفى بينهما، بينما ظل الضيف يبكي ويبكي، حتى جذبه رضوان أمامه، وتنهد بابتسامة ملؤها الحزن:

-"دانتي".

"ابني الغالي".

-"اشتقت إليك كثيرًا، أبي رضوان".

"لقد حدث كثيرٌ من الأشياء منذ أن رحلت من هنا".

قاطعه رضوان وهو يهز رأسه موافقًا:

-"نعم، أنا أعرف".

نظر دانتي جانبًا، فوجد ماربيل يبكي هو الآخر، فضحك، وجذبه من رأسه، وأخذا يمرحان سويًّا لفترة، حتى أوقفهما أمر ودود من رضوان:

-"توقفا أيها الشابان! هيا اجلسا الآن".

فجلسا، وهما يضحكان، ولكن ماربيل انقبض، واختفت ضحكته، فلقد علم أن دانتي سوف يسمع ما لن يعجبه بعد قليل.

****

الوقت أصبح الآن العاشرة مساءً، درة نائمة بجانب سرير سيلين على كرسي جلدي.

لم يوقظها إلا رنين جهاز وضعته بجانبها. أغلقته، ثم قامت وجهزت جرعة جديدة من المضاد الحيوي، وأخذت تحقنها، ثم أمسكت بأمبول آخر.

قرأت ما عليه، ثم سرحت قليلًا، ثم هزت رأسها ناكرة ما كانت تفكر فيه.

عَبّأت الأمبول.

كادت أن تحقنه، ولكنها توقفت ثانية، وقالت:

"لن أدعكِ تنامين ثانية".

"هيا أفيقي".

"يجب أن تستيقظي".

"فهناك زائر يجب أن يجدك بصحة جيدة".

"هيا يا سيلين".

ولكن لم تجد أية إجابة، ولا حتى هزة بسيطة من يدها، طرفة من عينيها، لا شيء على الإطلاق.

وكأن سيلين قد ماتت!

****

نظر دانتي حوله، ولم يجد سوى وجوهًا مُكفهرّة.

فانقبض قلبه.

-"هل ستقولون لي الآن ما الذي يحدث؟!"

نطق رضوان بثبات شديد:

-"دانتي! أنت لم تأتِ إلى هنا لأننا اشتقنا إليك".

"وزيارتك تلك لن تكون سرية لسيلين".

"أنت يجب أن تراها الآن".

استرجع دانتي جديته التي صارت جزءًا منه في الفترة الأخيرة.

-"ألم تبعثوا لي في آخر رسالة أنها مقتنعة بموتي، وتأقلمت على ذلك؟!"

رد الشيخ رضوان بالثبات نفسه:

-"أنت يجب أن تراها الآن يا دانتي!"

قاطعه دانتي منفعلًا:

-"لن أراها".

"سوف نلتزم بالخطة، وسوف تقول لها يا شيخ رضوان..."

ثم هدأ:

"أنا آسف".

"لقد انفعلت".

"أرجوك يا شيخ رضوان غدًا".

"صارحها بحب ماربيل لها".

"إن تلك الحياة أفضل لها".

هنا تدخل ماربيل، وصرخ فيه:

-"أنا لن أتزوج سيلين".

"إنها تحبك أنت، إذن لِمَ تريد تزويجها لي إن كنت تحبها أنت الآخر".

-"لأن هذا أفضل لها".

"هل فهمت ذلك؟"

-"لم أفهم سوى أنك شخص مجنون تفكر بطريقة حقًّا مخيفة، وأنا مخطئ أني اشتركت في مثل تلك لعبة سخيفة"

-"ماربيل! لن تنسحب الآن!"

-"لم يعد هناك مجال للانسحاب أو حتى للبقاء".

"إن سيلين تموت يا دانتي".

صمت دانتي مصدومًا، ولم ينطق بكلمة.

قطع رضوان الصمت بالقول متألمًا:

-"تستطيع أن تتهمني بخيانة الأمانة أو ما تريده، ولكن المهم الآن أن سيلين أصابها حادث، ونزفت كثيرًا من الدماء، وما زاد الأمر.."

قاطعه دانتي، وكأنه لم يكن يسمعه:

-"أين هي الآن؟"

رد ماربيل:

-"في المشفى العام".

قال دانتي على عجل:

-"خذني إليها حالًا من فضلك".

****

سكون..

الغرفة الآن هادئة بدرجة مخيفة، وسيلين تقبع هناك وحيدة.

لم يقطع السكون سوى دخول إحدى الممرضات لحقنها بجرعة خافض الحرارة، فالحرارة حقًّا لا تهدأ.

درة كانت قد ذهبت لغرفة راحة الأطباء؛ لتنام ساعتين، ثم ترجع مرة أخرى؛ لتفحصها فحصًا شاملًا.

أخذت الممرضة تقيس الحرارة مرة أخرى، ثم بدأت تحقن الجرعة ببطء شديد حين دخل ماربيل ووراءه دانتي.

كان دانتي مذهولًا.

لقد رأى حتى الآن مصائب الزمان، وتحملها قلبه إلا هذه.

لم يتحمل أن يرى حبيبة عمره راقدة على سرير الموت، وهي تظن أنها تسرع إليه، ولا تعلم أنها تتخذ الخطى بعيدًا عنه.

تداخل في رأسه المشهد.

سيلين راقدة بلا حراك.

ماربيل يتحدث مع الممرضة، وهي تهز رأسها بيأس.

مشى خطوات بطيئة.

أخذ ماربيل الممرضة، وخرجا من الغرفة، وأوصدا الباب.

وقف دانتي إلى جانب السرير.

يتأمل سيلين.

بدت شاحبة، بدا لونها مصفرًا باهتًا، وكانت تتصبب عرقًا.

لمس دانتي وجنتيها، وجدهما باردتين على الرغم من أن جبهتها تغلي من شدة الحرارة.

ما انفكّت الدموع تسيل بغزارة من عينيه، ثم تشجع قليلًا.

استرجع قواه.

استجمع شجاعته، واستعاد إيمانه.

قال له قلبه إنها سوف تفيق بمجرد أن تسمع صوته.

مثل تلك الحكايات الخيالية التي كانا يسمعانها معًا في صغرهما.

-"سيلين! حبيبتي! هذا أنا دانتي!"

"سيلين أنا لم أمت".

"هيا ارجعي، واشفي حتى نكون معًا".

"سيلين!"

لم يجد أي رد فعل معه هو أيضًا.

خاف دانتي بشدة، فخرج من الغرفة مهرولًا، وجرى في رواق المشفى حتى اصطدم بماربيل الذي وجده بحالة مزرية وعيناه دامعتان.

-"توقف يا دانتي! إلى أين ذاهب؟!"

فصرخ فيه دانتي وهو يحاول نزع ذراعه من يد ماربيل.

-"اتركني! اتركني! أنا المتسبب في ذلك".

فأوقفه ماربيل بقوة.

-"هل أنت أحمق؟"

"أنت أنقذتها من الموت".

"هيا، اذهب، وأنقذها ثانية".

-"إنها ترفض أن تستيقظ".

-"حقًّا!! ومنذ متى وأنت قنوطٌ يا دانتي؟"

"ارجع، ولا تدع أحدًا يرافقها غيرك أنت".

تنهد دانتي، ونظر إلى عيني صديقه القديم.

فهز ماربيل رأسه مؤيدًا ما قاله للتو ومطمئنًا:

-"هيا! سأبعث إلى ميلو ودوريان الآن".

"سوف أستأمنهما على داساني بدلًا منك حتى ترجع".

-"سوف يطلبان منك كلمة السر".

-"لا أزال أتذكرها يا صديقي... لا تقلق".

ابتسم، ثم مشى مبتعدًا.

****

رجع دانتي إلى غرفة سيلين، ولم يتركها ولو للحظة.

لم تغفل عيناه .

كان جالسًا على الكرسي بجوارها سارحًا ويفكر.

كان يحس بممرضات تدخلن كل حين تقسن حرارتها، تحقن الأدوية.

ولكنه لم يكن ينتبه لأكثر من ذلك، ولم يكن يرد على أيّة أسئلة.

كان مصدومًا.

لا يسمح لمحاولات عقله أن يهيّئه لما قد يحدث.

ظل الليل بطوله ساهرًا، حتى طُرِقَ الباب، ودخل وجه مألوف.

كانت يد سيلين غارقة بين أحضان كَفَّيّ دانتي، حين دخلت درة.

وقف دانتي، وترك يدها، فانقبض جسدها.

وأخذ يحاول أن يفيق حتى تسترجع يدها كفيّ دانتي.

كانت تسمع همس الأصوات من حولها، وشَكّت في أنها قد أصبحت في الجنة.

فهي تسمع صوت دانتي، ولكن الومضات التي تلتقطها عيناها هي الغرفة نفسها التي تراها كلما أفاقت، ثم يُغمَى عليها مرة أخرى.

-"مرحبًا بكِ، كنا ننتظركِ!"

-شكرًا لكَ".

"كيف هي سيلين؟"

-"نحن حقًّا نفعل أقصى ما بوسعنا".

ثم صمتت درة للحظات، وبادرت بابتسامة، وقالت:

-"إنها تحبك بشدة يا دانتي".

رد دانتي غير مصدق:

-"حقًّا؟!"

-"نعم".

"لا تنطق إلا باسمك طوال اليوم".

"سمعتها تَهْذي طوال الليل".

أخذ دانتي نفسًا عميقًا، ثم تجرأ على سماع المزيد.

-"ماذا كانت تقول؟"

-"أشياء مثل أنها خذلتك".

"وتخلت عنك".

"إنها تبدو معذبة بشدة يا دانتي".

"حتى إنها لا تريد أن تستيقظ".

"ليس هناك أية ردود فعل إيجابية من ناحيتها".

تنهد دانتي حزينًا:

-"ماذا يجب أن نفعل؟"

-"ابق بجانبها".

"اجعلها تشعر بشتى الطرق أنك هنا".

"يجب أن تشعر أنك هنا معها".

****

شقت الشمس ظلام المساء الفائت.

صلى الشيخ رضوان وأم حنين الفجر، ثم ذهبا إلى المشفى. وَجَدَا دانتي ما زال ساهرًا، اقتربت منه أم حنين.

-"دانتي! ولدي، قم، واسترح قليلًا".

"لا أستطيع أن أتركها".

"هيا، هيا، سَنُعْلِمُكَ أي جديد.. هيا".

ثم اقترب رضوان، ورفعه من كرسيه.

-"قم! هيا! أنت ستستريح فقط لتستطيع مرافقتها عندما نذهب نحن. هيا".

نظر إليه دانتي، ثم قام، وتحرك للخارج مرهقًا، وحزينًا.

وبعد عدة ساعات أخرى، جاء ماربيل، وجاءت درة، جلسا لفترة، ثم ذهبا.

وعندمت حلت الثانية ظهرًا، رجع دانتي إلى الغرفة.

-"مرحبًا! ماذا حدث؟!"

رد رضوان آسفًا:

-"لا شيء".

أمسك دانتي رأسه بغضب شديد.

قامت أم حنين وربتت على كتفه:

-"سوف تكون بخير".

"لا تقلق".

"أنا أراها قد تحسنت كثيرًا عن أمس".

"أقسم على ذلك".

رد رضوان:

-"هذا حق يا بُنَيّ".

"بالمناسبة، لقد أحضر لك ماربيل بعضًا من الملابس في تلك الحقيبة. سوف يعرج عليك في المساء ثانية".

هز دانتي رأسه دون أن ينطق بكلمة.

ثم رحل الشيخان.

****

أغلق دانتي الباب خلفهما.

ثم جلس إلى جوار سيلين.

أخذ ينظر إليها، يتأملها، كانت كل قسمة في وجهها تذكره بذكرى بينهما.

أمسك يدها حتى أصابعها، لقد حفظ كل شيء، كل قسمات وجهها، كل ثنيات أصابعها، شعرها، كل شيء.

أحس أن حريقًا قد اشتعل داخله.

فترك يدها بغضب، وأخذ يتنفس بشدة.

كان على وشك الانهيار، ولم يوقفه عن الصراخ بعزم ما فيه إلا سماع صوت سيلين ضعيفًا، وبصعوبة:

-"دانتي".

اقترب منها، لا يصدق.

"دانتي!".

-"أنا هنا يا حبيبتي".

"هيا، أفيقي".

"هيا".

"ألا تريدين أن تريني؟"

"هيا! افتحي عيونك!"

لم يجد أية إجابة. "سيلين! سيلين!"

صار يصرخ فيها، أمسك يديها، وجدهما باردتين لدرجة التجمد، وجدها ترتعد.

"يا الهي! سيلين!"

غطاها بكل ما وجد من أغطية، ولم تتوقف.

نادى دانتي مستنجدًا.

في لحظات، وجد طبيبًا وممرضة فوق رأسه.

سأله الطبيب، وهو يسرع بفحصها:

-"ماذا بها؟!"

"إنها باردة مثل الثلج".

طلب الطبيب من الممرضة إحضار الأدوية اللازمة.

-"قل لي! هل تموت؟"

قال له الطبيب:

-"انتظر بالخارج من فضلك".

لم يتحرك دانتي ولو خطوة؛ فصرخ فيه الطبيب:

-"هيا! أرجوك".

ولم يحس دانتي إلا بأحد وقد جذبه من ذراعه نحو الخارج، لقد كانت درة.

-"إنها ستموت، أليس كذلك؟"

نظرت إليه درة، وتضايقت بشدة.

-"لِمَ أنت يائس هكذا؟"

"ما رأيته كان فقط ضغطها ينخفض".

"وذلك ربما تفاعل حدث داخل جسدها مع أحد الأدوية، وعظيم أنك أسرعت وأخبرتنا".

"انظر".

"لأحدثك بحس الطبيبة".

"إن هناك تحسنًا قد لا يكون مُلاحَظًا، ولكنْ هناك تحسن".

"كون أنها بقيت تلك الفترة حية، وتجاوزت كل الذي مضى، إذن فهي ستعيش".

"صَدِّق ذلك يا دانتي".

"إذا كانت سيلين تريد أن تموت، إذن فكانت قد ماتت في الأيام الماضية".

خرج الطبيب من الغرفة مسرعًا مع الممرضة، فأمسكت درة بيد دانتي، وأخذته للداخل، ثم أمسكت بملف موضوع على منضدة عند آخر السرير.

-"انظر".

"انظر إلى تلك الأرقام".

-"ماذا تعني؟"

-"إن معدلات ارتفاع درجة حرارتها تقل".

"وانظر هنا أيضًا".

"هذه المواد في الجسم تعبر عن الالتهاب. إنها بدأت تنخفض أيضًا".

"إن جسدها بدأ يقاوم".

"إنها تُشْفَى يا دانتي".

****

حل المساء، وماربيل لم يترك دانتي منذ جاء.

تحدثا عن أيام الشباب، ومرحهما سويًّا، تحدثا عما حدث في داساني، تحدثا عن خطة تأمين رجوعه إلى داساني في كل الأحوال، عن سيلين، وعما فعلت منذ جاءت إلى يوتوبيا.

-"كنتُ أوشك أن أعترف لها عدة مرات".

-"هل أحبتك يا ماربيل؟"

وعندما أوشك ماربيل أن يرد، عاجله دانتي:

"بصدق يا ماربيل".

-"عندما أحست بحبي لها، وأننا صرنا أصدقاء مقربين، خافت".

"وضعت كثيرًا من الحواجز بيننا، وانتهزت أول فرصة، وانتقلت لبيت الشيخ رضوان".

"بِمَ تفسر ذلك أنت يادانتي؟"

-"كانت تهرب".

"هذه كانت طريقتها للتفاعل مع ما لا تود فعله".

"كانت تهرب".

-"أنا لا أسامحك على ما فعلت يا دانتي".

نظر إليه دانتي ثم تنهد، وأغمض عينيه.

"أنت، وشيخ رضوان".

"اتفقتما سويًّا على ذلك".

-"وهل أجرمت يا صديقي عندما لم أجد من أَأْتَمِن ابنة عمي لديه سواك؟!"

سكت ماربيل.

"أجبني يا ماربيل".

-"لم تكن ابنة عمك، بل حبيبة قلبك".

-"وهذا ما يجعلك تعذرني أكثر".

"لقد فَضَّلَتْ أن تكون معك أكثر مني".

"ماذا بك يا ماربيل؟"

-"كنت تعلم أني سأحبها إذن؟ وماذا بعد؟"

-"لم أَنْوِ على الإطلاق الظهور في حياتكما من جديد".

"ولكن الآن على ما يبدو لم تستجب إلا بعد قدومي".

"انظر يا ماربيل".

"هناك شيء يجب أن تدركه".

"إن سيلين -في كل الأحوال- سوف تكرهني عندما تعلم الحقيقة".

"وقد تطلب البقاء في يوتوبيا".

"وقد توافق على زواجك".

"حينها، صدِّقني لن أقرب يوتوبيا ثانية".

-"وماذا عنك يا دانتي؟!"

-"لقد انفطر قلبي بالفعل".

"فانْسَ أمري".

-"لا يا صديقي".

"لن ينفطر قلبك ثانية".

"إذا غَضبَتْ وَعَنَّفَتْكَ، فسوف أمسك يدها وأحضرها لك".

قال دانتي وهو مبتسم:

-"وماذا عنك أنت؟"

-"أنا لم أحبها لسنوات مثلك أنت".

"لا تقلق".

"مثلما أحببتها بسرعة، سوف أنساها بسرعة".

-"دعها تَفِقْ أولًا". قالها دانتي.

ضحك الاثنان، ثم غادر ماربيل.

كانت الساعة قرابة الحادية عشرة مساءً.

رحل وترك دانتي مع حزنه مرة أخرى.

سرح لفترة في أمور داساني.

واتخذ بعضًا من القرارت التي يجب أن ينفذها فورعودته.

فهذا البعد عن السياسة لفترة، ساعد على إنارة بصيرته، ثم تذكر صديقيه.

ميلو ودوريان.

وتأمل كيف أنهما ظلا مخلصين له بحياتهما.

أحس أن قلبه مرتاح.

لم يعد يؤرقه سوى سيلين. هي التي أصبحت تبدد أمله في الحياة بأسًا وهَمًّا.

لم يعد أحد يصدق كيف حدث لها كل ذلك في ليلة واحدة.

ولن يدركوا؛ لأن ما حدث لها، لم يكن بفعل البرد أو ميكروب ما، أو حتى الزجاج الذي تكسر على جسدها. لم يكن سوى فعل الذكريات التي تجمعت عليها في تلك الليلة الواحدة، ثم أخذت تضيق الخناق حتى كادت تقتلها.

****

غفل دانتي نصف ساعة، ثم أفاق على صوت الممرضة، وقد جاءت لتغير المحلول، وتضع محلولًا آخر للتغذية، ثم خرجت الممرضة.

أحس دانتي بدوار قليلًا، وأدرك أنه لم يأكل، ولم ينم منذ قدومه إلى يوتوبيا؛ فأشفق على جسده، وقام، وتناول بضع حبات فاكهة، وذهب إلى الكرسي، وأخذ يتأمل مرة أخرى وجه سيلين.

لمس جبهتها.

لم تكن محمومة تلك المرة.

فحمد الرّب.

هي الآن لم تتناول خافض الحرارة منذ اثنتي عشرة ساعة، ولم ترتفع حرارتها.

إذن، هذه إشارة عظيمة.

أمسك دانتي يدها.

أخذ يفرك أصابعها.

-"هل تعلمين إني اشتقت إليكِ؟"

"أكثر من أية مرة؟"

ثم ابتسم بحزن.

"كنت دائمًا أقول ذلك بعد مجيئي من الجيش".

"وأنتِ كنتِ دائمًا تتهمينني بأني أصطنع كلامًا معسولًا، مع أن الأمر لم يكن كذلك إطلاقًا".

"أحببتك بشدة".

"أقسم على ذلك".

"لقد فعلت كل شيء من أجل حمايتك".

"لم تصدقيني قط، ولا أعلم لِمَ!"

"لا تهتمي".

"فقط قولي لي".

"هل تتذكرين لقاءنا ذاك اليوم في الحديقة؟"

"هيا، سيلين، أفيقي، وقولي لي أية إشارة".

تنهد بيأس، ثم قال:

"أنا أتذكر..".

"كان من أحلى ذكرياتنا سويًّا".

"كانت أيامنا حلوة".

"كانت حلوة جدًّا".

"كنا نضحك حتى نبكي".

"كنتِ تضحكين، وتقولين أنك لا تستطيعين أن تتنفسي، وتؤلمك معدتك".

"كنت أحبك حقًّا بشدة".

"أنا لا أعلم لِمَ لَمْ أقُلها لكِ مرات ومرات حتى تملِّين".

"لقد قسوت عليكِ في آخر أيام لنا سويًّا".

"كنت خائفًا حتى الموت أن يصيبك مكروه".

"كنت أعلم أنك طائشة ومجنونة".

"كان يجب أن أحميك".

ثم أمسك يدها، وقبَّلها.

كان يحبس دموعه؛ لئلا يبكي.

"أتذكر الآن كل شيء".

"كلامك..".

"حديثك الطويل لي..".

"أتذكر عندما كنتِ تندفعين إلى أحضاني؛ لأضمك بشدة".

"أتذكر..".

"أتذكر عندما صفعتِني، وأتذكر أنني كنت سأقتلك وقتها".

ثم بكى بشدة.

"كنت خائفًا عليكِ".

"كنت خائفًا من أن تتركيني وحيدًا".

"فقط، عودي؛ لأقول لكِ أني أحبك حتى تملّين".

"عودي؛ لكي أضمك".

"أقبّلك مرات ومرات".

أخذ يبكي بشدة.

أمسك كلتا يديها، وأخذ يصرخ فيها بهمسه المعهود:

"هيا، سيلين".

"أفيقي".

أخذ يبكي بصوت مسموع، ورأسه على صدرها.

لم يتوقف إلا عندما أحس بيدين ناعمتين تتحسسان وجهه، اندفع دانتي واقفًا، فلقد اعتقد أن أحدًا قد دخل الغرفة، وقد عرف الآن كل أسرارهما.

ولكنه وجد سيلين قد فاقت.

عيناها مفتوحتان مثلما دعا ربه أن يراهما.

ابتسم دانتي، وصار يضحك غير مصدق.

ثم تذكر أنها فاقت عدة مرات، ورجعت إلى الإغماء مرة أخرى.

ففزع، وانحنى نحوها.

جَثَا على الأرض بجوار سريرها، وأمسك يدها بقوة.

"هذا أنا دانتي يا حبيبتي".

"لا تتركيني".

"فقط ابقي مستيقظة".

ظلت سيلين محملقة في وجهه ولا ترد.

"سيلين!".

"أنت تسمعينني، أليس كذلك؟!"

"سيلين!"

ارتعب دانتي.

ارتعب من فكرة أنها لا تسمعه.

كانت محمومة.

هل صُمَّت؟ هل صارت مشلولة؟

ضاعت فرحة دانتي مرة بعد المرة.

"حبيبتي! تكلمي! قولي أي شيء!".

"هيا، سيلين. أنا دانتي".

"ألا تذكريني؟"

"هيا، تكلمي أرجوكِ"

وكاد أن يبكي مرة ثانية، لولا أن سيلين استعادت وعيها الآن بالكامل. وتكلمت أخيرًا.

"هيا، هيا، قولي أي شيء".

"هذا أنا دانتي يا سيلين".

"ألا تعرفينني؟"

-"أنا أحبك".

ثم ابتسمت على الرغم من تعبها الشديد.

فقد أحست أن كل عضلة في وجهها تؤلمها. فقط لأنها ابتسمت.

-"وأنا أحبك".

"بجنون".

ثم اندفع دانتي، واحتضنها بشدة، وأخذ يبكي كثيرًا.

-"لا تبكِ يا دانتي".

نظر إليها دانتي.

-"أنا سعيد".

"أنا سعيد، لا تقلقي عليَّ، قد أموت اليوم، ولكن فقط مِن سعادتي".

ضحكت سيلين.

أمسك دانتي بكلتا يديها، وأخذ يقبّلهما، ثم تركها للحظة، واندفع نحو الباب.

-"سوف أستدعي الطبيب؛ ليفحصك".

همست سيلين بتعب، وأشارت له بيدها.

-"تعالَ يا دانتي".

-"سوف فقط.."

-"أرجوك".

ردت سيلين بصعوبة.

فعاد دانتي إليها.

وأمسك يدها.

"لا تتركني".

"لا تذهب".

-"مثلما تشائين".

"ولكن لِمَ؟"

"كنت سأنادي الطبيب".

-"لم أَعُد آمن مكرك".

وضحك الاثنان.

****

مرت ساعتان ودانتي ما زال جاثيًا على الأرض ممسكًا يدها، ويتأمل أحدهما الآخر.

-"لا أصدق أنك حي".

-"لقد نجوت بأعجوبة".

-"ماذا حدث؟ كيف صارت داساني؟"

رد دانتي متنهدًا:

-"ليست بجمال يوتوبيا، ولكنها سوف تصبح مثل يوتوبيا".

-"سوف يتحقق حلمنا".

"أليس كذلك يا دانتي؟"

-"بلى".

"سيتحقق".

"قد نتعب".

"قد نضحي بكثيرٍ، ولكن عهدًا عليَّ ألا أموت إلا قبل أن أضعها في طريق يوتوبيا".

ابتسمت سيلين بحزن، ثم اغرورقت عيناها بالدموع.

"لا تبكي بعد الآن".

"سوف نكون سعداء".

"فقط سعداء".

-"سوف أصدقك".

ثم قامت مُحاوِلةً الجلوس، ولكن آلَمَتْها قدمها بشدة.

-"انتبهي! هناك جرح عميق في قدمك".

-"أريد فقط الجلوس".

فساعدها دانتي حتى جلست.

ثم طرق الباب، ودخلت الممرضة، وفوجئت بها قد أفاقت فخرجت بسرعة، وأحضرت الطبيبين اللذين تفحصاها، ووجدا أن علاماتها الحيوية مبشرة.

وبعد مرور نصف ساعة فقط، وجدوا الشيخ رضوان، وأم حنين، وماربيل معهم. صاروا فرحين بشدة. كلهم.

وفي صباح اليوم التالي، سمحوا لسيلين بالخروج، ولكن بشرط أن يزورها الطبيب كل يوم للاطمئنان على صحتها وأدويتها.

نزلت سيلين ببيت الشيخ رضوان.

اهتم بها هو وأم حنين خير اهتمام في ذلك اليوم الأول.

قضته بالكامل في بيت الشيخ رضوان، بينما نزل دانتي عند ماربيل.

دخلت أم حنين غرفة سيلين، وجدتها تتمشى في الحجرة؛ ففزعت.

-"ماذا تفعلين؟"

-"إنني فقط أتمشّى".

"أريد أن أعتاد على الألم".

-"أليس هذا مضرًّا بالجرح؟"

-"مادمت أمشي بحذر، فلا مشكلة".

"هكذا قال الطبيب".

ضحكت أم حنين، ثم كانت مغادرة.

"ألم يأتِ دانتي لزيارتي بعد؟"

ردت أم حنين، وهي تخفي ضحكة:

-"لا، إنه عند ماربيل".

-"هل أنت متأكدة؟"

-"نعم، متأكدة. هيا، استريحي الآن".

مشت سيلين نحو الأريكة، وهي تهمس:

-"قد يكون عاد إلى داساني من دوني".

"أنا أعرفه. بالطبع هو فعل ذلك".

ولم يقطع أفكارها سوى صوت الباب يطرق، ثم سمعت صوت دانتي وماربيل بالأسفل.

جلست سيلين بسرعة على الأريكة، وكأنها لم تكن تنتظر أحدًا، حتى طُرِقَ الباب ودخل ماربيل وحده.

استغربت سيلين، وقطبت حاجبيها.

-"ماذا؟!"

"أليس مُرحَّبًا بي؟"

ضحكت سيلين.

-"بلى، بلى، اجلس يا ماربيل".

-"إذن، كيف حالك اليوم؟"

تنهدت سيلين:

-"بخير".

ثم دخل دانتي.

فقط الآن ابتسمت سيلين.

-"كيف أنتِ اليوم، ابنة عمي".

-"جيدة".

ردت سيلين وهي تصطنع الضيق.

وعندما وجد ماربيل الوضع هكذا، استأذن وخرج، ثم جلس دانتي في مقابلتها.

-"كنت قلقًا عليكِ بشدة".

-"نعم، إنه جَلِيّ، لقد بقيت معي النهار بطوله!"

-"هل ستصدقين إن قلت لك أنني نمت حوالي ثماني عشرة ساعة متواصلة؟"

لم ترد سيلين، فقط نظرت له غير مصدقة.

"في داساني لم أكن أنام قط، حتى أتيت هنا وأصبحت أكثر يقظة مني في داساني".

"أنا حقًّا مرهق".

"اعذريني".

-"لا عليك".

وابتسمت ابتسامتها الرقيقة، ثم استغلت الفرصة، وسألته:

"متى سوف نرجع إلى داساني؟"

-"سوف أرجع بعد يومين".

-"وماذا عني يا دانتي؟!"

-"ظلي في يوتوبيا حتى استقرار أوضاع داساني".

-"أرانا نعيد الأمر مرَّةً ثانية".

وتنهدت بضيق:

-"أنتِ لا تعلمين حقًّا كيف هو الوضع هناك".

"أنا لا أريد أن أخيفك، ولكن شراذم خرمان يصنعون تفجيرات هنا وهناك كل فترة".

"إن الوضع خطر للغاية".

-"وأنا لن أتركك".

"هذا جوابي النهائي، فلا تجادلني".

لم يجد دانتي حلًّا، فرجع بظهره متنهدًا:

"لا تقلق".

"بما أني نجوت من الموت عدة مرات، إذن فالله قد قدر لي الحياة".

-"مثلما تريدين يا سيلين".

-"فقط توقف عن خوفك الزائد عليّ يا دانتي".

"لن تحبسني في قوقعة، حتى لا يمسني أحد".

"أأقول لك شيئًا أنت لا تعرفه؟"

ابتسم دانتي بحزن:

-"ماذا؟"

-"يوم خروج سكان داساني، ونادوا باسمك؛ لتنال عرش الدولة، نزلت معهم وسألتك أن تتدخل معهم، وتأخذ كل شيء، وتخلصنا من أونوس".

"أترى لم يَخَفْ أبي من خرمان؟"

"تركني فقط أبحث عن الحرية مثل الآخرين".

"لا تخف عليَّ".

"فقط اتركني مثلما فعل أبي".

"أليس كله من أجل داساني؟"

-"بلى".

"كله من أجل داساني".

"إذن فلتستريحي قليلًا".

-"لا".

"اجلس مطولًا".

-"نحن هنا في بيت الشيخ رضوان".

"لا يجب أن نزعجه كثيرًا".

-"دانتي!"

قالتها بدلال.

-"انظري".

"غدًا، سوف آتي، وآخذك بجولة في يوتوبيا".

ابتسمت سيلين، وقالت:

-"اتفقنا".

-"إذن.."

"اعتني بنفسك جيدًا".

وخرج.

قضت سيلين تلك الليلة تفكر فيما قد يحدث بعد، فبعد أن أحست بالسعادة في يوتوبيا، عليها أن تغادرها الآن.

ولكن في الوقت نفسه، هي سعيدة؛ لأنها ستعود إلى داساني، ولكنها لم تَنْسَ أن داساني أصبحت الآن بلا والدها أو أخيها.

سوف يكون هناك فقط دانتي.

ابتسمت بحزن، ثم نامت.

وعندما أفاقت في منتصف الليل، سمعت صوت الشيخ رضوان يصلي مع زوجته، والغريب أنها كانت تستيقظ على صوتهما يصليان كل ليلة منذ

مجيئها إلى البيت، وكان ذلك يبعث عليها الطمأنينة. وفي يوم فات عليهما وقت الصلاة، ولكن سيلين وجدت نفسها استيقظت مثل كل يوم. في الميعاد نفسه.

قلقت عليهما يومها، فخرجت، وتعمدت إحداث جلبة شديدة؛ حتى يستيقظا وتطمئن عليهما؛ فاستيقظ يومها شيخ رضوان، وأيقظ أم حنين.

صلَّيا الفجر، ودعيا لها كثيرًا ذلك اليوم.

أحست سيلين كما لو أنها صارت ابنتهما فعلًا.

خوفها عليهما، وافتعالها أحداثًا صبيانية لتوقظهما.

لقد مر عليها كثير من الأوقات الحلوة في ذلك البيت.

استيقظت سيلين اليوم التالي مبكرًا، وأخذت تستعد لمجيء دانتي؛ ليأخذها في نزهتهما سويًّا، تمامًا مثل الاطفال.

تناولت فطورها سريعًا، ثم ذهبت إلى الدور العلوي، وانتظرت مجيئه حتى ترتدي أحلى ثيابها.

وبعد حوالي ساعة، طُرِقَ الباب، وسمعت ترحيب السيدة أم حنين، فأدركت أن دانتي قد وصل!

نزلت بسرعة على السلالم بعد أن ارتدت أحلى ملابسها، ولكنها فوجئت عندما رأت دانتي.

اختلطت عليها مشاعر الخوف مع المفاجأة مع الغضب الشديد.

****

كان دانتي مرتديًا ملابس العسكرية.

إذن، فهو عائد الآن إلى داساني.

إذن هو عائد.

ليس هناك نزهة.

لا إنه عائد بمفرده.

كان يهمس مع الشيخ رضوان ببضعة كلمات حتى رأياها قادمة، فتوقفا على الفور.

-"ما هذا؟"

"هل أنت عائد إلى داساني الآن؟"

-"اسمعيني فقط يا سيلين".

فانفعلت سيلين:

-"فقط أجب عن سؤالي يا دانتي".

فرد عليها وهو يكتم غضبه:

"نعم، أنا عائد الآن؛ لأنه حدثت كارثة، ولا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من ذلك".

-"إذن، فأنا قادمة معك".

-"لا يا سيلين".

"أنتِ ستبقين هنا في يوتوبيا".

فنظرت إليه مستغربة.

"أنا عائد إلى داساني بمفردي".

ثم هدأ قليلًا، وقال:

"إن الوضع أصبح خطرًا جدًّا".

"أنا حتى لا أعرف إن كنت سأصل بأمان أم لا".

-"كل ذلك وتريدني أن أبقى هنا؟"

"انتظر حتى أحضر الأشياء المهمة معي".

وقفزت تجاه الدور العلوي، ولم تمهله الوقت للتفكير أو الرد.

ارتمى دانتي على الأريكة.

-"لا تقلق يا دانتي، سيكون كل شيء بخير إن شاء الله".

-"أنا لست خائفًا على نفسي يا شيخ رضوان".

-"هل الوضع حقًّا مخيف؟"

-"لا أعلم بالضبط".

"ولكني حاولت قول ذلك لردعها".

"لم أعرف أنه سيزيدها إصرارًا".

-"تبدو لي تلك العائلة كلها متشابهة يا دانتي".

وضحك الشيخ رضوان، وضحك دانتي على الرغم من همومه.

-"قل لي ماذا أفعل بالنسبة للطرق التي فجروها؟"

-"قم ببنائها مرة أخرى".

"دعهم يهدمون، وأنت ابنِ، ولكن.."

"انتبه في مرحلة بنائك للطرق الجديدة أنه عند اكتمالها تكون قضيت على معظم رءوس الشر والفتنة"

"لن تنمو داساني وما زال الظلام والشر الأسود بداخلها".

-"ولكنهم.."

"لقد اتهموني بأنني قاتل عندما قتلت منهم ألفين".

-"وأدركت لاحقًا، ويعلموك بأنفسهم الآن أنك لم تكن مخطئًا".

"أنقذ داساني بالإحسان إن استطعت".

"وبالقوة إن اضطررت".

"الحق كل الحق معك يا بني".

"الله لن يتركك".

"لا تخف".

"سوف أظل أدعو لك حتى تقوم بدولتك لأعلى المرتبات".

-"ولكني قد أحتاج يومًا إلى عون يوتوبيا".

-"ويوتوبيا لن تتأخر عن عون داساني".

"كل علمنا هو ملككم".

"أنت فقط قم، وأحلل الأمن ببلادك".

"فقط الأمن يا دانتي".

"وسوف نسخّر كل شيء من أجلك لاحقًا".

-"أهذا بمثابة وعد من شيخ يوتوبيا؟"

-"نعم، نعم، هذا وعد".

ابتسم دانتي بانشراح.

نزلت سيلين، ومعها أم حنين.

ودَّعتا بعضهما بعضًا بالدموع.

بينما انحنت سيلين لتقبل يد الشيخ رضوان، ولكنه نهاها عن ذلك بشدة، ثم ودعهما دانتي.

وقبل أن يركبا العربة، وقفت سيلين للحظة:

-"دانتي".

"ألن نودع ماربيل؟!"

-"بلى، سنودعه، هيا بنا".

وانطلقت العربة نحو قصر ماربيل وأمه العجوز السيدة غالية.

ودعتهما سيلين، وودع الصديقان بعضهما بعضًا مع الوعد بزيارة قريبة، ثم انطلقت العربة باتجاه داساني.

****

وقف الاثنان على بعد كيلومترات من حدود داساني.

أمسك دانتي بيد سيلين.

ثم قال بهمسه المعهود:

-"هل أنت واثقة مما ستفعلينه الآن؟"

-"نعم، وكُلِّي ثقة".

-"هل ستتزوجينني يا سيلين عندما نصل إلى داساني؟"

-"بل سأتزوجك الآن".

ثم ضحك الاثنان عاليًا.

وكاد أن يضمها لولا أن القائد ذكّرهما أنهما ما زالا على أراضي يوتوبيا.

ركبا العربة، وانطلقا نحو داساني.

وقفت العربة في ساحةٍ كان دانتي قد أعدها بجوار القصر بعد تلك الأحداث الأخيرة، حيث أصبح التنقل غير آمن على الإطلاق.

دخلت سيلين القصر مرة أخرى بعد وقت مرير أمضته في الهروب من محاولات قتلها، والإفلات من الموت متعدد الشكل والأسلوب.

دخلت، تأملت الأروقة، أحستها كلها معبقة برائحة الدم، لم تستطع أن تطأ قدماها أية غرفة.

-"ماذا بك يا عزيزتي؟!"

-"لا أستطيع يا دانتي.. لا أستطيع".

تنهد دانتي، لقد فهمها، فرد عليها:

-"إنهما لم يموتا هنا يا سيلين".

-"إذا كان لديك الوقت، إذن، فاحْكِ لي كل شيء".

لم يرد دانتي.

"دانتي، أنا أعلم أني مؤخرًا قد أخذت من وقتك كثيرًا".

"وقتك الذي أعددته لداساني".

"ولكن اعذرني".

"فقط هذه المرة".

رد دانتي بلا تردد أمام توسلاتها:

-"تعاليْ إذن".

وأمسك يدها، ودخلا إحدى غرف القصر، تلك الغرفة كانت معدة لاستقبال الزائرين، كانت فخمة مثل باقي القصر، ذات بلكونة فسيحة وجميلة، تنبعث منها روائح الياسمين والريحان.

جلس دانتي على الأريكة، بينما جلست هي على الكرسى المقابل له.

وبمجرد أن جلس، أراح ظهره إلى الخلف، وأغمض عينيه متأوّهًا.

-"هل أنت متعب لهذا الحد؟"

فتح دانتي عينيه بصعوبة.

تذكر أيام الجيش عندما كان ينهي تدريبه، ثم يفعل ما يحلو له.

لم يكن يحمل همًّا قط تلك الأيام.

تنهد، ثم بدأ يحكي:

-"كانت البداية عندما وجدت نفسي محاطًا بالحراس من كل جانب، وسمعت كثيرًا من الصرخات تأتي من جميع أنحاء القصر".

"قفزت من بين الحراس، وذهبت إلى الخارج، فلقد علمت أنكِ حتمًا ستفعلين ذلك. بعد مساعدتك على الهروب، انقض عليَّ حوالي ثلاثة فرسان، ثم بدأ العدد يزداد بسرعة".

"حاولت اقتيادهم أكثر إلى الداخل؛ حتى أتمكن منهم، ولكن دامار ظهر فجأة".

"لا أعلم من أين أتى، واشتبك معنا في القتال نفسه".

-"هل كان يقصد نجدتك؟!"

-"على ما يبدو كان الأمر كذلك".

"ثم جرى دامار خارج القصر، واقتاد الصراع معه إلى شوارع داساني حيث استمرينا بالالتفاف حول الشوارع المحيطة بالقصر".

"حتى وجدنا أمامنا عربة محملة بالجنود، وقد اقتادوا السلطان روحان معهم، فبادرنا بقطع أوتار العربة حتى سقطت بالجنود".

"واستمر نزال طويل".

"قاتل فيه السلطان روحان حقًّا بشرف، ولكنهم أجهزوا عليه".

- "كيف؟ كيف قتلوه؟"

-"لا أهمية لذلك الآن يا سيلين".

-"أرجوك يا دانتي!".

"هذه ستكون المرة الأخيرة التي أتحدث فيها عن ذلك".

-"لقد.. ضربوه بالسيوف".

"ثلاث ضربات بالصدر".

"واحدة بالبطن، وأخرى في الرأس".

-"الخونة!".

قالتها سيلين بكل غضب، ثم أخذت تبكي، وقالت:

"ودامار!".

"هل حلّ به المثل أيضًا؟"

-"لقد قاتلا بشرف يا سيلين".

"لا تحزني أبدًا".

"لقد ماتا أبطالًا".

ساد الصمت والسكون لفترة.

"وأنا يا سيلين".

"ألن تسألي كيف نجوت؟"

نظرت إليه سيلين مستغربة.

"ألم تعودي تشكين بي الآن؟!"

-"ماذا تقول؟!!"

"أنا أثق أنك فعلت ما بوسعك لكي تنجو العائلة كلها".

"لا تذكّرني يا دانتي أرجوك بما فعلته معك من قبل".

-"أنا آسف، لم أقصد ذلك!".

رد دانتي بسرعة:

"هيا!".

"اذهبي إلى غرفتك، واستريحي قليلًا حتى يأتي وقت الغداء".

قامت سيلين وما زالت تبكي، احتضنها دانتي بين ذراعيه.

-"لم يعد هناك حاجة للبكاء بعد الآن".

"لقد صرنا سويًّا..".

"لقد رجعت داساني ملكنا".

"أليس الله يعطي شيئًا، ويأخذ شيئاً؟"

-"صرت تتحدث مثل رضوان".

ابتسم الاثنان.

ثم قال دانتي:

-"هيا، اذهبي".

-"وأنت، ماذا ستفعل؟"

صرخ دانتي ضاحكًا:

-"سوف أنقذ داساني، ثم ألحق بك".

ضحكت سيلين على الرغم من حزنها.

-"لن أنسى ذلك اليوم".

-"نعم، لا تنسيه حتى نكمل ما لم نستطع إكماله في ذلك اليوم".

ابتسمت سيلين بخجل، ثم مشت للخارج.

بينما سار دانتي إلى غرفة اجتماعات القصر، حيث ينتظره ميلو ودوريان؛ ليحدثاه عن التطورات، حتى يصير ثانية دانتي العظيم، ويكمل ما كانا قد بدآه هو وابنة عمه منذ سنتين مضتا.

ذلك الغضب..

تلك الثورة..

ثورة لا تنتهي إلا بالوصول إلى يوتوبيا.

****

للتواصل مع الكاتبة

عن طريق الإيميل

manarogaily@gmail.com

صفحة الفيسبوك

/https://www.facebook.com/manarogaily

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.